

الفكر التربوي

عند مفكري جمعية العلماء المسلمين

The educational thought of the thinkers of the Association of Muslim Scholars

د. صالح صوالحية

جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، (الجزائر)

soualhias757@gmail.com

تاريخ النشر: 2023 / 12 / 21

تاريخ القبول: 2023 / 08 / 26

تاريخ الإرسال: 2023 / 03 / 11

المخلص:

تهتم هذه الدراسة الحالية بالفكر الإصلاحى عند مفكري جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ العربي التبسي والشيخ المبارك الميلي، وإذا دققنا في جميع آرائهم فإننا نستخلص أنهم يتفقون على إصلاح الفرد أساس إصلاح المجتمع وإصلاح المجتمع هو أساس النهوض بالأمة والتحقيق البعث الحضاري وتحرير المجتمع من الاستعمار الفرنسي وذلك من خلال تبني مشروع جمعية العلماء المسلمين الذي اعتمد على آليات التنفيذية المتمثلة في التربية والتعليم والتهديب والإرشاد والدعوة والصحافة التي تقوم بنشر هذه الأفكار كجريدة البصائر والشهاب والمنتقد وبفضل ذلك تمكن هؤلاء العظماء بنشر الفكر الإصلاحى في الجزائر والمحافظة على الشخصية الوطنية ومحاربة مشروع الاستعمار الفرنسي لانتلاق أن الفرد هو الوسيلة والغاية في نفس الوقت وأن النهضة الإسلامية في الجزائر تتحقق بفضل شحذ مجموع فعاليات المجتمع الجزائري المتمثلة (شحذ الفعالية الروحية والدينية للمجتمع الجزائري، شحذ الفعالية العلمية والفكرية لنخبة العلماء المسلمين، شحذ الفعالية التعليمية والتربوية للناشئة وأخيرا شحذ الفعالية الروحية للمجتمع الجزائري).

الكلمات المفتاحية:

الفكر التربوي؛ مفكري جمعية العلماء المسلمين؛ نظرياتهم التربوية.

Abstract:

This current study is concerned with the reformist thought of the thinkers of the Association of Muslim Scholars, Sheikh Abdul Hamid Ibn Badis, Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi, Sheikh Al-Arabi Al-Tabasi and Sheikh Al-Mubarak Al-Milli. The civilized revival and the liberation of society from French decolonization through the adoption of the project of the Association of Muslim Scholars, which relied on the executive mechanisms of education, discipline, guidance, advocacy and the press that publishes these ideas such as the newspaper Al-Basir, Al-Shehab and Al-Motaqid. Nationalism and the fight against the French colonization project in order to set out that the individual is the means and the end at the same time and that the Islamic renaissance in Algeria is achieved thanks to the sharpening of the total activities of the Algerian society represented (honing the spiritual and religious effectiveness of Algerian society, sharpening the scientific and intellectual effectiveness of the elite Muslim scholars, sharpening the educational and educational effectiveness of young people and finally sharpening The spiritual activity of Algerian society.

Keywords:

Educational thought; Muslim Association thinkers; their educational theories.

1. مقدمة:

إن دراسة الفكر التربوي عند ابن باديس تهدف إلى كشف عن الآراء والأفكار التربوية التي تعبر عن العمليات التطبيقية التي أجريت ميدانيا من طرف المربي الجزائري الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي كان يرى بين العملية التربوية الفعلية الواقعية هي التي تحقق الهدف من المنشود المتمثل في بناء الفرد الجزائري وتغيير شخصيته في كل الأبعاد وذلك من خلال جهود الجميع من أجل النهوض بالمجتمع الجزائري وتجديد رؤيته الفكرية والعلمية والحضارية والتربوية بفضل عملية التربية والتعليم التي تعود لأنها الوسيلة والغاية في نفس الوقت، وبأن الفرد هو أساس إصلاح المجتمع، وهو الخلية الجوهرية في تغيير المجتمع، ومحاربة الجمود الفكري والتخلف الحضاري الذي كان يعاني منه المجتمع الجزائري أثناء التواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر ومحاولة محو مقومات الشخصية الوطنية، من خلال تكريس سياسة الدمج والفرنسة ومحاربة التعليم العربي الحر واللغة العربية في التعليم القرآني، وغلق مدارس جمعية العلماء المسلمين، ونتيجة لذلك قرر ابن باديس صياغة مشروع تربوي إصلاحي تجديدي يهدف إلى إنقاذ المجتمع الجزائري من المشروع الاستعماري الفرنسي الذي خطط له ووفر كل الوسائل المتاحة لتدمير الشخصية الجزائرية وطمسها.

وقد انطلق ابن باديس من هذا المنظور إذ يرى أن الإصلاح يبدأ بالإنسان لأن صلاح الفرد هو الخطوة الأولى لصلاح المجتمع ويرى ابن باديس أن صلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس. إما مباشرة وإما بواسطة المؤسسات الأخرى. ولكن يجب طرح هذا السؤال كيف يتم هذا الصلاح ؟ يرى ابن باديس أن المسؤولية الفردية والجماعية لعلماء المسلمين المفكرين فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة (عمار طالبي، 1978، ص 50).

وصلاح المسلمين أو فسادهم يتم بصلاح أو فساد علمائهم. وهم من الأمة بمثابة الجسد إذا صلح، صلح الجسد كله وإذا فسد، فسد الجسد كله.

ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، لأن التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته. وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره. وصلاح هذا التعليم يؤدي ثماره الموجودة، إلا إذا رجعنا إلى المنهج الإسلامي النبوي في شكله ومضمونه وطرائقه وفي مادته وصورته اعتمادا على الحديث النبوي: "إنما بثبت معلما" وأن هذا المنهج التربوي هو أساس الإصلاح. (عمار طالبي، 1978، ص52).

2. العوامل المؤثرة في الفكر التربوية عند ابن باديس

1.2. الأصالة الإسلامية:

يقوم أساس هذه الأصالة على مصادر الإيمان الخالص من التحريف وذلك بالعودة إلى القرآن والسنة القولية والفعلية والتقريرية، باتخاذ القرآن الكريم مصدرا للفكر والسنة دليل العمل، وأن يكون المصدر هنا هو الثقافة العربية الإسلامية، وأن الهدف هو إحياء عظمة الماضي بتشكيل الرصيد التاريخي بحيث ينسجم مع متطلبات العصر الحديث. انطلاقا من المفهوم الصحيح للإسلام "عقيدة وعبادة ومعاملة وعلاقة" وأن يكون ذلك مبينا على الفهم العميق للإسلام وأبعاده التربوية؛ يقول ابن باديس في هذا الإطار: "إن الإسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورفقه، وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتقدمة على أن لا نجاح للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام، فالمسلم الفقيه في الإسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة". (عمار طالبي، 1978، ص 53)

ويؤكد وجهة نظره بأن القرآن هو الدستور الإلهي الذي ينظم حياة البشر في الدنيا والأخيرة حيث يوضح ذلك قائلا: "تؤمن بأن القرآن الكريم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتتوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال وإصلاح الأحوال، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام، وأن كل من خاله فهو في ضلال، وأن يكونه الإسلام الذاتي الذي يحقق الفعالية الروحية والفكرية والعلمية للأمة ومنطلقا لتجديد الفكر الاجتماعي والتربوي للمجتمع الجزائري المتميز بأصالته العربية والإسلامية وتراثه الثقافي المتجدد مع متطلبات العصر حيث يحدد الأسس الحقيقية لهذا

البحث الحضاري من خلال هذا التحليلي " أم الإسلام الذاتي فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله ويتفقه حسب طاقته، في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينبني ذلك على الفكر والنظر فيفرق بين ماهو من الإسلام بحسنه وبرهانه وما ليس منه بقبحه وبطلانه فحياته حياة فكر وعمل ومحبة للإسلام محبة عقلية وقلبية بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى الشعور والوجدان"، يكون ذلك مبنيا على التفكير العلمي السليم والفهم الدقيق للآيات القرآنية بالمحسوس والمجرد ومن أجل فهم الكون المبدع وهذا ما يؤكد التفكير في آيات الله السمعية وآياته الكونية وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على الفكر، تنهض الأمم فتستثمر ما في السموات والأرض وتشيّد صروح المدنية والعمران". (عمار طالبي، 1978، ص 73)

إذن يكون الإسلام أساس البعث الحضاري للأمم الجزائرية وبمثابة الطاقة المحركة لكيانها الاجتماعي والثقافي، ومما سبق نستخلص أنه المصدر الأول الذي استقصى منه ابن باديس فلسفته التربوية وتجاربه العملية ومنهجه التربوي والإصلاحي الذي وضعه ليكون البديل للنظام التربوي الاستعماري والوضع السائد في زمانه.

ومن المؤكد أن لكل نظام تربوي مبادئ دينية وأسس فلسفية واجتماعية وثقافية يستمد منها المربي أفكاره وآراءه التربوية والإصلاحية التي ينطلق في تطبيقها من خلال العقيدة الدينية والفلسفة الاجتماعية التي يؤمن بها والتي توجهه وتحدد له الأهداف والغايات وترسم الطرق والوسائل الكفيلة لتحقيقها وهذا ما نؤكد على أن ابن باديس استمد مختلف خطته التربوية من روح الثقافة الإسلامية المتميزة بالفعالية الفكرية والروحية والعلمية التي تعتبر أساس النهوض بالمجتمع من الجمود الفكري والتخلف الحضاري. (صوالحية صالح، 1984، ص43).

2.2. الاستفادة من تجربة الحركة الإصلاحية في المشرق العربي:

إن الحركة الإصلاحية في المشرق العربي التي تزعمها جمال الدين الانسان وتلميذه محمد عبده وتلميذه رشيد رضا قد استقطبت اهتمام زعماء الاسلام و المال الاسلامي والمغرب العربي بصفة خاصة وبالأخص عناصر جمعية العلماء المسلمين الذين استفادوا من منهج السلف الصالحه وسلوكوا في السبيل الاصلاح الاجتماعي والديني والتربوي من اجل

انقاد المجتمع الجزائري من الجمود الفكري والتخلف الحضاري ثمة الآفات الاجتماعية التي أصابت جسم المجتمع واضعفت فاعليته ومناعته الاجتماعية و اوهنت كل قواه بسبب ابتعاده عن القرآن والسنة النبوية والثقافة الذاتية لهذا المجتمع ونجد هذا تأثير جليا في كتابات الشيخ عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي وخاصة عند تحديد العلة - واللون والداء والعلاج حيث نجد الشيخ البشير الإبراهيمي يؤكد ذلك في خطابه أمام أعضاء الجمعية في المؤتمر. (عمار طالبي، 1978، ص 104).

لا نزاع في أن أول صيحة ارتفعت في العالم الاسلامي بلزوم الاصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة امام المصلحين الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه وأنه أندى الائمة المصلحين صوتا وابعدهم صينا في عالم الإصلاح، فلقد جاهر في الحقيقة المرة وجهر بدعوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الى الرجوع الى الدين الصحيح ولتماس هدى من كتاب الله ومن سنة نبيه ، والى تمزيق الحجب التي حجبت عنا نورهما وحاولت بيننا وبين هديها مبينا بصوت يسمع الصم وبلاغة تسترسل العصب أن علة العلل في سقوط المسلمين وتأخرهم وراء الأمم وانحطاطهم عن تلك المكانة التي كانت لهم في سالف الزمن هي بعدهم عن ذلك الهدي الروحاني الأعلى.(عمار طالبي، 1978، ص107).

إذن كانت صيحة الامام محمد عبده بمثابة صوتا داويا حركت النفوس الحائرة والعقول الجامدة والمتحجرة التي شوهدت حقيقة الإسلام وأبعدت الناس عنه نتيجة التصرفات المضللة والتقليد الأعمى للغرب وهذا ما يبرره و خطابه.

كانت تلك الصيحة الداوية من تم ذلك المصلح العظيم صاخة آذان المتربصين بالاسلام وآذان المبطلين من تجار الولاية والكرامات وعبادة الأجداث والانصاب وآذان الجامدين من العلماء. (بشير الإبراهيمي، 1974، ص 46)

وقد بين الإبراهيمي العوامل التي جعلت من محمد عبده شخصية عظيمة ذات التأثير الفعال على التجارب الإصلاحية في الجزائر حيث يحدد لنا في خطابه الخصائص الميزة هذا الرجل العظيم وكان الاستاذ الامام اعجوبة الاعاجيب في الألمعية وبعد النظر وعمق التفكير ووحدة خاطر واستتارة البصيرة ، وسرعة الاستنتاج واستشفاف الخبات حكيم بكل ما

توديه هذه الكلمة من معنى وبالجمله فالرجل قد من الأفذان لا تكون الدراسات وان دقت فرجهم المدارس وان ترقى. (بشر الابراهيمى، 1974، ص 48)

مما سبق يتضح لنا جليا أن تأثير محمد عبده ودعوته الإصلاحية كانت بمثابة التيار الكهربائي الذي أشاع بنوره على المجتمع الاسلامي الذي كان يبحث عن قبس من ذلك النور ليخرجه من الداومة والانحطاط الحضاري وتاخذ من ركب الحضارة الانسانية ، وقد جما لواء الإصلاح بعدد تلميذه الاكبر ووارث علومه السيد رشيد رضا ما نشر من تفسير القرآن الحكيم على صفحات المنار وما كتب في المنار وغير المنار هو الذي جلى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين ، وهو الذي لفت المسلمين الى هداية القرآن الكريم وهو الذي دجر خصوم الاسلام من المشين اليه وغير المنتمين اليه وهتك استارهم حتى جاروا لا يحرك أحد منهم أو عن اشباههم بده الى آخذ بجنايته. فهذه الحركة الدينية الاسلامية الكبرى اليوم في العالم اصلاحا وهداية بيانا ودفاعا كلها من أثاره فرحمه الله وأجزاء أفضل ما زي العاملين. (بشر الابراهيمى، 1974، ص 58)

مما سبق نجزم النتيجة بان ابن باديس قد تأثر بالحركة الإصلاحية التي قادها المصلح الاسلامي العظيم جمالى الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده بالمشرق العربي ، وقد أكمل مسيرته الإصلاحية وحمل لواءها رشيد رضا بعد استاده و تحل هذا التأثير من خلال الاحتكاك المباشر لعبد الحميد ابن باديس اثناء تواجده بالمشرق والاطلاع المتواصل الاداب الفكر التربوي الذي تنتشره المجالات الفكرية في المشرق وهذا ما توضحه النقطة التالية:

3.2. الرحلات العلمية:

أن الرحلات العلمية التي قام بها ابن باديس نحو تونس التحصيل العلمي أثناء دراسته بجامع الزيتونة الذي كان يعتبر قطبا من أقطاب الثقافة الاسلامية ومركز إشعاع الثقافة العربية الاسلامية، وقد اثر ابن باديس ببعض علماء الزيتونة الذين قادوا الحركة الاسلامية بتونس والعمال على تطبيق ونشر أفكار الأفغاني وعبده في أوساط النخبة المثقفة والعمل على تحقيق التجديد الاجتماعي والتربوي والديني الفكر الاسلامي بالمجتمع التونسي وخاصة الافكار الإصلاحية التي كان ينادي بها محمد النخيلي ومحمد الطاهر بن عاشور التي تركت بصماتها على شخصية ابن باديس وكانت ذات تأثير فعال في مكونات شخصيته وتوجيهه

الفكري ، كما لا ننسى الاثر الروحي والنفسي الذي لعب دورا فاعلية في التوجيه التربوي بن باديس واتخاذ أستاذه الأخضر بن الحسين الذي تلقى عليه كتاب التهذيب ودروب التفسير بداره حيث يقول شيخي وهو الذي ربي عقلي وهو الذي حبيب إلي هذا الاتجاه من كنت طفلا إلى أن صرت رجلا. (عمار طالبي، 1978، ج3، ص 54)

من هنا يتجلى التأثير النفسي الذي أحدثه استاذه في نفسيته واتجاهه العقلي من العلم إلا أن ابن باديس كان في مرحلة حاسمة من تكوينه العقلي والروحي والنفسي انها مرحلة المراهقة أثناء مرحلة دراسته بتونس ومجمل القول ان الاحتكاك العلمي والفكري بين ابن باديس وأستاذه قد لعب دورا في توجيه فكره نحو العلاج السليم لبعث النهضة العلمية والثقافية والتربوية في المجتمع الجزائري. الذي كان في اشد الحاجة للقيادة الروحية والفكرية من أجل البعث الحضري الذي يبدد الجمود الفكري والجهل ويزيد الآفات الاجتماعية التي كانت تفتك بالجسم الاجتماعي لهذا المجتمع المتغرب، وإذا دققنا في فكر التربوي عند ابن باديس فإننا نجد أن بعض آرائه وأفكاره مطابقة تماما لآراء أستاذه بتونس. وآراء قادة الحركة الإصلاحية بالمشرق وخاصة فيما يتعلق بالإصلاح الديني والتربوي والوسائل الكفيلة لتحقيق النهوض الاجتماعي، وهذا ما نؤكد من خلال عرض الفكر التربوي عنده . (رابح تركي، 1976، ص 104).

4.2. رحلته العلمية نحو المشرق

لقد وقف ابن باديس على النهضة الفكرية والثقافية و بالمشرق العرب والحجاز والتي كانت تمررت للحركة الإصلاحية التي أسلفنا إليها فيما سبق وان تواجهه بأرض الحجاز ومصر جعله يطرح عدة تساؤلات عن واقع المجتمع الجزائري وكيف يمكن تحقيق النهوض الفكري والبعث الحضاري و تجديد رويته الاجتماعية نحو المستقبل، وكيف يمكن تصحيح وجهة نظرة عن الحياة والعمل وكيف يكون الخلاص فيما هو فيه وما هو السبيل الأمثل والواحد لتحقيق ذلك، مع العلم ان المجتمع الجزائري بلغ مستوى من التأخر الحضاري والجمود يصعب شحذ فاعليته الروحية من اجل تحقيق الإقلاع التربوي، من أجل استئصال الآفات الاجتماعية التي فتكت بكيانه الاجتماعي. (رابح تركي، 1976، ص 108)

ان طرح هذه المواقف المتشابهة والمعقدة مخيلته كانت كنتيجة احتكاكه ولقائه معظم المفكرين الاسلاميين بالحجاز ومصر والشام بعالية تتسم بالتأثير الفعلي في مواقفه العلمية والواقعية لأنها كانت ذات علاقة تبادلية من الوجهة الفكرية وإن اطلاعه المباشر على نتائج العملية المحققة الحركة الاصلاحية بالمشرق وثمرت مجهوداتها جعلته يتبنى موقفه الإصلاحية وهو لا يزال بالمشرق. (رابح تركي، 1976، ص 110).

ويرسم خطوط العريضة لمشروعه بعد لقاءات متعددة مع القائد الثاني لجمعية العلماء المسلمين الشيخ الإبراهيمي والاتفاق الفعلي بينهم على المرحلة الاولى من الانطلاق الفعل للعمل الجماعي مع النخبة المثقفة ثقافة اسلامية والواعية بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، وان يكون المنطلق هو القرآن والسنة الفعلية والقولية والثقافة العربية الاسلامية الصيلة والاستفادة من تجارب الأمم التي سبقتنا الى الميدان مع تكييف ذلك وفق المعطيات التاريخية واجتماعية المجتمع الجزائري وأخذ بعين الاعتبار أحواله وظروفه وخصائصه المميزة وأن يكون الانسان من المحور للعملية والتربوية والوسيلة والغاية لتحقيق النهوض الاجتماعي ونجاح ونجاح العمل المراد إنجازه.

أن المنطلق الاساسي لحركة الإصلاح التربوي والاجتماعي في الجزائر هو القرآن والحديث والسنة أي العودة إلى الينابيع الأولى للفكر الاسلامي الخالص. وكانت الآية القرآنية الكريمة الجوهر الحقيقي للإصلاح الاجتماعي بمثابة مقولة تربوية الاحداث التغيير في نفسية الانسان الجزائري، وقد اتخذت كشعار للمنظومة التربوية التي حدد معالمها المصلح الاجتماعي والتربوي ابن باديس، وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». وتطبيقها العملي والسلوكي (غير نفسك تغير التاريخ)، فالتغير النفسي هو نقطة الانطلاق للإصلاح الحضاري والجوهر الاساسي للتغيير الاجتماعي للمجتمع والاداة الفعالة التحول المجتمع من حالة اليأس والخمول الى حالة اليقظة والنهضة الحضارية التي يعتبر فيها الانسان محور العملية التربوية ويؤكد المفكر الجزائري مالك بن نبي هذه الحقيقة الناصعة في كتابه شروط النهضة (ولقد كانت حركة الإصلاح التي قام بها العلماء الجزائريون أقرب هذه الحركة الى النفوس وأدخلها في القلوب اذ كان أساس مناهجهم الأكل الآية الكريمة سألقة الذكر، فأصبحت هذه الآية شعار كل من ينطرح في سلك الإصلاح في مدرسة ابن باديس وكانت

أساس لكل تفكير. فظهرت آثارها في كل خطوة وفي كل مقال، حتى أشرب الشعب في قلبه نزعة التغيير. فأصبحت أحاديثه تتخذها شرعة ومنهاجا، فهذا يقول لا بد من تبليغ الاسلام الى المسلمين، وذلك بعظ فلنترك البدع الشنيعة البالية التي لطخت الدين، ولنترك هذه الأوثان. وذلك بلح يجب أن نعمل، يجب أن نتعلم. يجب أن نجدد صلتنا بالسلف الصالح، ونحي شعائر المجتمع الاسلامي الأولى. ويدعم المفكر الجزائري مالك بن نبي وجهة نظره على ما يقول بدليل عملي ((أولم يكن العلماء انفسهم ينهلون من ذلك ينبوع معجزتهم من عام 1929 حتى 1936 إذ كانوا يغيرون ما بنفس الفرد وذلك التغيير الذي هو الشرط الجوهري لكل تحول اجتماعي رشيد)). (ابن باديس، 1986، ص 119)

ترانها صيحة الإصلاح التي حركت النفوس الخاملة والعقول المخدرة وأيقظتها من نومها وخوفا وبعثت فيها روح البعث الروحي والفكري الذين هما عاد كل حضارة في مسيرتها الحثيثة وهكذا اتيح للإصلاح ان يمسك بين يديه زمام تقاليد النهضة الجزائرية وأمكنه أن يبعثها خلقا آخر بالروح الاسلامية الخالص. بعد هذا التحليل المنطق الإصلاح يجب علينا تحديد المفهوم لغويا وتربويا . (فاضل الجمالي، 1978، ص 56)

وأساسه وسماته وأساليب تنفيذه، والاهداف والغابات التي يريد ابن باديس تحقيقها من وراء هذا الإصلاح الاجتماعي والتربوي. (ابن باديس، 1986، ص 126)

أولا: مفهوم التربية عند ابن باديس :

يرى ابن باديس أن الهدف من التربية هو إعداد الفرد للمجتمع وذلك بإصلاح الفرد الذي يعتبر الخلية الحية في المجتمع وركيزة أساسية لتكوين دعائم المجتمع الانساني ، باعتبار أن الفرد هو اللبنة التي يتكون منها المجتمع ، ولا يتحقق ذلك إلا بتنمية شخصية الفرد من كل الجوانب العقلية، الروحية البدنية والأخلاقية، ويتم هذا بواسطة التعليم والتربية اللذين يعملان على تصحيح عقيدته وتقويم خلقه وتعديل سلوكه، وبعبارة أوضح تكوين اتجاهات إيجابية اجتماعيا ونفسيا لديه حتى يستطيع التلاؤم مع الواقع الاجتماعي الذي يتفاعل فيه يوميا أي تنشئته مواطنا صالحا ينفع نفسه ومجتمعه في السراء والضراء ،، ومن أجل مواجهة واقع الحياة انطلاقا من عقيدته الاسلامية وأفكار ومبادئ المجتمع وممارسته التطبيقية لأصول العقيدة (في المعاملات والعبادات والعلاقات الاجتماعية) وهذا بفضل تقوية إيمانه

وغرس حب الوطن والعمل لصالح الأمة فيه، ويقول ابن باديس في هذا الصدد : (لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه، فعناية المرء بنفسه عقلا وروحا وبدنا - لازمة له - ليكون ذا أثر نافع في الناس على منازلهم منه في القرب والبعد، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية مادام مهملا مشتا لا يهديه علم ولا يمتته خلق ولا يجمعه شعور بنفسه ولا مقوماته ولا بروابطه وإنما ينفع المجتمع الانساني ويؤثر في سيره من كان في الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله...) (صوالحية صالح، 1986، ص 46)

من هذا المنظور يرى ابن باديس أن العناية بالفرد وتكوينه الشامل يعني العناية بالمجتمع بكامله، باعتبار أن المجتمع يتكون من مجموع أفراد وأن إصلاح المجتمع متركب على إصلاح الفرد وهذا بفضل الإيمان والعمل الصالح الذي ينفعه وينفع غيره ولا يتحقق - ذلك إلا محاربة التخلف الفكري والجمود الاجتماعي ومظاهره المتمثلة في التخلف الثقافي والاجتماعي كالخرافات والبدع والأعال التي تتنافى مع القيم الوطنية والاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع الجزائري العربي المسلم، ويرى ابن باديس أن الوسيلة الناجحة لتحقيق ذلك هي التربية والتعليم ويقول : (ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم، التعليم الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني ويظهر كيانها بين الأمم ويقول أيضا : (بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخرافات والأوضاع الطرقية المنحدرة للفناء والزوال ولهذا نجد أن تنمية شخصيات أفراد المجتمع تتطلب الاعتناء بهم من كل الجوانب وخاصة الأفراد الذين يتحملون مسؤولية التعليم وتكوين الأجيال الصاعدة التي تفيد المجتمع وفي هذا الاطار يقول: (لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح، صلح الجسد كله وإذا فسد، فسد الجسد كله، وصالح المسلمين إنما هو بفقههم للإسلام وعملهم به وإنما يصل إليهم هذا على يد **علائهم** فإذا كان علماءهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل، فذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا اصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم) (رابح تركي، 1986، ص 333).

إن التعليم هو الذي يشكل شخصية المتعلم وفق أهداف مجتمعه، وهو الذي يحدد مستقبل حياته وما يستفيد من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فنصلح التعليم ويؤمن ابن باديس إيماناً قوياً بدور العلم الفعال في نهضة الأمم والشعوب يقول: (إن تهذيب الرجل وتعليمه لا يكون إلا بالعلم والعمل به) ويقول: (إن الإصلاح الديني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال تصحيحاً وتهذيباً وتنويراً وتقويماً كل ذلك في دائرة الإسلام كما نزل به القرآن والسنة ومضى عليه - علا وعمل- السلف الصالح من هذه الأمة وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الإصلاح السياسي). (صوالحية صالح، 1986، ص 47)

مما سبق نستخلص أن مفهوم التربية عند ابن باديس هو العناية والاهتمام والرعاية للفرد ضمن المجتمع وتنمية جوانب شخصيته، وتكون لديه الاتجاهات العقائدية الصحيحة والأفكار الوطنية ومساهمة الفرد في بناء المجتمع، الذي يعتبر عنصراً فعالاً فيه، ويؤكد في نظريته أن التربية السليمة هي التي تراعي فطرة الفرد وقدراته العقلية حيث يقول: (لكل إنسان فطرته وعقله فعلياً إذا دعينا إلى شيء أن نعرضه عليها راجعين إلى الفطرة الإنسانية وإلى العقل البشري).

ونجد أن آراء ابن باديس تعتبر حديثة من حيث أنها تتفق مع الدراسات السيكولوجية الحديثة التي تقرر أن مراعاة الاستعدادات وقدراته العقلية هي أساس تحصيله المعرفي وتشكيل شخصيته المميزة، والسؤال الذي يجب طرحه في الإطار هو كايلى: من أين استوحى ابن باديس أفكاره التربوية والإصلاحية التي غيرت مفاهيم المنظومة التربوية الجزائرية في تلك الفترة التاريخية؟ لقد استوحى ابن باديس أفكاره التربوية من الدين - الإسلامي بكل تراثه والواقع الاجتماعي الجزائري أثناء الاحتلال الاستعماري.. (عمار طالبي، 1978، ص 571).

- الدين الإسلامي الذي يعتبر عقيدة الشعب الجزائري وأنه تجسيد حقيقة الأمة الجزائرية وأصالتها التي تعبر عنها الحضارة العربية الإسلامية، هي التي جعلت ابن باديس ينطلق من القرآن - الكريم والسنة النبوية في بلورة فكرة التربوي، وبما أن القرآن يعتني بتربية الموجودات كلها بما في ذلك تربية الإنسان، فالقرآن الكريم يعالج نشوء الخلقية والإنسان وطبيعة الإنسان ويؤكد وجود النظام في الطبيعة وفي المجتمع ويؤكد ما يتطلبه كل ذلك من أهداف تربوية، لاسمى في حقل تهذيب النفس وتنظيم السلوك:

وقد اشتق ابن باديس أفكاره التربوية من أهداف التربية في القرآن: (ابن باديس، 1986، ص186)

1-أهداف التربية في القرآن:

يمكن تلخيص أهداف التربية التي جاء بها القرآن فيما يلي:

- تعريف الفرد بمكانته بين المخلوقات ومسؤولياته الفردية في هذه الحياة.
- تعريف الإنسان بعلاقاته الاجتماعية وبمسؤولياته ضمن نظام اجتماعي إنساني.
- تعريف الإنسان بالخلقة (الطبيعة) وحمله على إدراك حكمة الخالق في إبداعها وتمكينه من استثمارها .

- تعريف الانسان بخالق الطبيعة وحته على عبادته .

ومن أهداف التربية في القرآن تمكن ابن باديس من استخلاص أفكاره التربوية التي سوف نتناولها بالتفصيل في هذا الإطار.

2-أهداف التربية عند ابن باديس:

- إعداد الفرد للحياة : إن القرآن الكريم يعترف بقيمة الفرد ويحمله مسؤولية فردية ، والمجتمع في نظر القرآن يجب أن يتكون - من أفراد ذوي مسؤوليات وشعور اجتماعي ، فالقرآن الكريم لا يسحق الفرد ولا يهمل وجوده كما أنه لا يتطرف في الفردية على حساب الجماعة. فالفرد حسب القرآن اجتماعي والمجتمع يتكون من أفراد اجتماعيين)

وابن باديس يرى أن تربية الفرد الجزائري تستهدف تنمية: مختلف الجوانب الشخصية. ويجب أن تتسم التربية بالشمولية والرؤيا المتكاملة للفرد، حيث يجب تربيته عقليا واجتماعيا وماديا وخلقيا ، حتى يستطيع المساهمة في تغيير مجتمعه ، ولا يتحقق ذلك إلا بتعليم أبنائنا وبناتنا أصول العقيدة الاسلامية التي تعتبر زادا للأجيال وتحافظ على كيانهم الاجتماعي المميز حيث نربي أبنائنا على الاتحاد والتعاون والاستفادة من الوقت والاهتمام بأنفسهم وفي هذا الإطار يؤكد مايلي : (على المربين لأبنائنا وبناتنا أنا يعلموهم ويعلموهن الحقائق الشرعية ليتزودوا ولتتزوجوا بها ويما يطبعونهم ويطبعونهن عليه في التربية الإسلامية العالية الميادين الحياة. ويؤكد كذلك على تعليم المرأة التي تساهم مساهمة فعالة في تنشئة الأجيال وإعدادهم للمستقبل ويقول في هذا الصدد : (النساء شقائق الرجال في التكليف فمن الواجب

تعليمهم وتعلمهم وقد علمهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأقرهن على طلب العلم والتعلم واعتنى بهن وتفقدن " . (رابح تركي، 1986، ص 174)

- إعداد الفرد للمجتمع : يستهدف القرآن الكريم نظاما اجتماعيا مؤسسة على مبادئ الوحدة والمساواة والإخاء والتعاون والمشاركة هي جوهر الديمقراطية الحقبة والوحدة الاجتماعية ويقول عز وجل : إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون [الأنبياء92].

ويقول ابن باديس : (الواجب على كل فرد من أفراد المؤمنين أن يكون لكل فرد من أفراد المؤمنين كالبنين في النظام والالتحام حتى يكون منهم جسد واحد كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويؤكد هذه الحقيقة في توضيح أكثر (بنين المؤمنين فإنه متكون من جميع أفرادهم على اختلاف طبقاتهم فالكبير والجليل له مكانه والصغير والحقير له مكانه وعلى كل حال أن يسد الثغرة التي من ناحيته مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنين التي لا غناء لها عنه ولا غناء له عن كل واحد منها فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته مقدار المركز الذي هو فيه والقدرة التي عنده ، ولا يجوز الأحد وإن كان أحقر حقير أن يخل بواجبه من ناحيته ويجب أن يكون ذلك مجسد سلوكيا وهذا ما يقرره . (رابح تركي، 1986، ص 155)

علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب أكيد تحتم علينا مع جميع المؤمنين وأن فيه قوتنا وحياتنا. وموتنا وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع إخواننا في كل ما يقتضيه وصف الإيمان الحقيقي.

إن الاتحاد عملية ضرورية لتحقيق التعاون الاجتماعي في مختلف أبناء الوطن وابن باديس يرى أن التفرقة ومحاولة. بثها بأي طريقة تشتت شملنا وتضعف كياناتنا الاجتماعية ، وقد عمل ابن باديس بكل إمكانياته على تحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف أبناء المجتمع الجزائري من أجل مواجهة العدو الخارجي وكل من أراد المساس بالقيم الوطنية والشخصية الوطنية وقف له ابن باديس بالمرصاد (إن تربيتنا العلمية الدراسية المبنية على بيان الحقيقة - وجلانها على ما هي عليه سيرتنا، لا تستطيع شيئا من الموارد والتلبس) ثم قال: (نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا في أحضاننا ينكرون، وربما عن غير سوء قصد تاريخنا

ومقوماتنا) ويؤكد ذلك أن الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت، ووجدت كل الأم ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أم الدنيا، ثم أن كل هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا تستطيع أن نصير فرنسا ولو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده المعروفة. وقد حاول توضيح ذلك في مختلف آرائه حيث يؤكد في إطار آخر (ان الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها لاتعد أمة بين الأم ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والانحدار. (البشير الابراهيمي، 1974، ص 101)

ويخاطب الشباب قائلا : (عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه، بما عندكم من تعلم واكتسبتم من خيرة محافظين لها على مقوماتها، سائرين بها في موكب المدنية الحقبة بين الأمم وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الانسانية بإنهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها ثم لا يمنع هذا من أخذ العلم عن كل أمة وبأي لسان، واقتباس كل ما هو حسن من عند غيرنا ومد اليد إلى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام) (البشير الابراهيمي، 1974، ص 105)

فإذا حللنا جيدا الفكر التربوي عند ابن باديس نجده قد فهم معنى المعاصرة الحقيقية التي يقتضيها العصر شريطة أن تكون هذه المعاصرة متفقة مع مبادئنا الوطنية وشخصيتنا العربية الإسلامية باعتبار أن الأصالة الشخصية من كل أمة أو شعب هي التي تعمل على التطور والازدهار في إطار مقوماتنا الذاتية. (ابن باديس، 1986، ص 204).

3- إعداد الجيل للمستقبل :

يرى ابن باديس أن أساس النهوض بالأمة الجزائرية ومحاربة عدو التخلف والجمود يتحقق بإعداد الجيل الصاعد الذي يعتبر آمال الأمة ومستقبلها، والفرد الذي يعبر عن الجيل يجب تكوينه تكوينا يتماشى مع العصر ومقتضياته - الجيل الذي يؤمن بتغيير الواقع المفروض عليه من طرف الاستعمار ويعمل على تحرير الجزائر ويحقق التقدم الحضاري لهذه الأمة ويبرهن على ذلك بقوله : (إنما نربي تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم إلى القرآن من

أول يوم وفي كل يوم وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلقت جهودنا وجهودهم) أن ابن باديس كان يعمل على تكوين جيل مسلح بعقيدة إسلامية ووطنية صحيحة ولو مع علم قليل من أجل النهوض بالمجتمع - الجزائري والتغيير من أوضاع المجتمع التي فرضها المحتل. (رابح تركي، 1986، ص 203)

4- العمل لصالح الوطن :

يرى ابن باديس أن خدمة الوطن ومحبته تعتبر خدمة ومحبة للإنسانية، وأن خدمة الوطن تأتي في الدرجة الأولى ويؤكد بأننا : لن نستطيع أن نؤدي خدمة مثمرة لشيء من هذه كلها إلا إذا خدمنا الجزائر (1) ويجب على كل مواطن غيور عن هذا الوطن أن يعمل على خدمة وطنه الخاص، ثم بعد ذلك يمد خدمته لأوطان الإنسانية ، ويوضح ذلك فيما يلي : (أما الجزائر فهي وطني الخاص وتفرض علي تلك الروابط لأجله - كجزء منه - فروضا خاصة وإنني أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة ، وكما أنني إذا أردت أن أعمل عملا وجدتي في حاجة إليه ، والى رجاله والى ماله والى حاله والى إلامه وآماله ، كذلك تجدني إذا عملت قد خدمت عملي من ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه، هكذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأحوال:1) مما سبق نستخلص أن مفهوم التربية عند ابن باديس هو عبارة عن تنمية المجتمع وتغييره والعمل على تطويره وذلك بمواجهة الواقع شريطة أن تكون البداية الإنسان الذي يعتبر الوسيلة والغاية في نفس الوقت ويعتبر أساسا للنهوض الاجتماعي. (رابح تركي، 1986، ص 210)

ثانيا: الفكر التربوي عند البشير الإبراهيمي

نقدم هذه الدراسة الموجزة عن العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. و هذه الدراسة المتواضعة تكشف اسهامات الشيخ الابراهيمى العلمية وجهوده الفكرية، وتحدد لنا الاطار العملي الذي تحرك فيه هذا الرجل العظيم الذي عمل بكل طاقته العلمية وعمله الفكري من أجل إنهاء المجتمع والمحافظة على مقوماته الثقافية التي تميزه عن غيره .

وقبل التطرق إلى فكره التربوي وأبعاده الإصلاحية يجب الإشارة إلى العوامل الثقافية والتربوية التي ساهمت في تشكيل شخصيته العلمية - ويمكن تحديد هذه المكونات فيما يلي:

1. البيئة الأسرية والتربوية :

لقد نشأ هذا المعلم في أسرة عريقة ، فهي تعود إلى أحد أشرف الأدارسة - الأديس الأكبر. مؤسس الدولة المنتسبة اليه بالمغرب الأقصى - وفي هذه الأسرة المتوارثة للعلوم العربية عبر الأجيال المتلاحقة والتي تميزت بالعلم ونشره وطلبه والهجرة من أجل الحصول عليه في مختلف الأقاليم المجاورة وفي الأمصار الإسلامية، ويؤكد لنا ذلك بنفسه وبيتنا إحدى البيوت التي حفظت رسم العلم وتوارثته قرونا من لدن خمول بجاية وسقوطها في القرن التاسع الهجري»⁽¹⁾، لقد نشأ في هذه الأسرة التي تمجد العلم وتعمل على نشره وتعليمه لطلاب العلم كما تعمل به للحفاظ على مكانتها العلمية وفي هذا الإطار يوضح لنا عملية التنشئة الأسرية والتربوية لإفراد أسرته والأساليب المتبعة في تقاليد أسرته لتربية الطفل وإعداده للحياة والمستقبل والتنشئة الاجتماعية التي تتخذها كوسيلة فعالة لدمج الفرد في المجتمع بعد تنمية مختلف جوانب شخصيته الإنسانية حتى يستطيع المساهمة في بناء المجتمع بإعتباره عضوا فعالا في جماعته الإنسانية التي يتفاعل معها في الإطار الاجتماعي الذي يتواجد فيه وينتمي الى عضويته الاجتماعية. ويؤكد لنا هذه الحقيقة قائلا «نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم.

فبدأت في التعلم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا، وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقنا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا من حفاظ القرآن ، ويشرف علينا إشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله في ذلك الزمان عمي شقيق والدي الأخضر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي حاملا لواء الفنون العربية بلا منازع ... فلا بلغت سبع سنين أستلمني عمي من معلمي القرآن وتولى تربيته وتعليمي بنفسه، فكنت لا أفارقه لحظة حتى في ساعات النوم. فكان هو الذي يأمرني بالنوم وهو الذي يوقظني منه، على نظام مضطرب في النوم والأكل والدراسة ، وكان لا يخليني من تلقين حتى حين أخرج معه وأماشيهِ للفسحة»⁽²⁾

مما سبق يتضح لنا مدى الرعاية والاهتمام التين تلقاهما الإبراهيمي من أسرته والتي لعبت دورا فعالا في تشكيل شخصيته وتنمية جوانبها التي أثرت على اتجاهه الفكري والاصلاحي فيما بعد.

عندما تعمد مسؤولية إعداد الأجيال وتنشئتهم على القيم الوطنية والاسلامية من أجل شحذ نفوسهم بالعلم الصحيح والمعرفة المتنوعة والتربية الصحيحة التي تؤهلهم للقيادة الاجتماعية للمجتمع الجزائري الذي كان يعاني من التخلف الشامل - يقودون المجتمع من أجل تحقيق النهوض الاجتماعي له وتجديد رؤيته الاجتماعية نحو المستقبل الذي يتطلب التسليح بالعلم والمعرفة لتحقيق النهضة الحضارية له - الاقلاع الحضاري -.

2. العوامل الثقافية :

لقد تلقى الإبراهيمي أصول الثقافة الإسلامية منذ طفولته المبكرة وأشبع حاجاته المعرفية من ينباع الأصلية لهذه الثقافة التي تمت مختلف اتجاهاته الفكرية والابداعية وجعلت منه فذا من أفاذ العلم والفكر وترك بصمات بارزة على الفكر الاسلامي الحديث الذي أطعمه بفنونه الفكرية المختلفة . وقد وضع ذلك بنفسه فحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السن - 7 سنوات - ولما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه» ولاشك أن أمهات الفكر الاسلامي الأصيل التي هضم معارفها منذ طفولته المبكرة ساعدت على تنمية اتجاهه الفكري وقدراته الادراكية ووسعت مداركه العقلية وهذه المكونات جعلته ينبغ في العلوم الاسلامية منذ مرحلة الطفولة مبرزاً ذلك بنفسه «كنت أحفظ ألفية ابن مالك ومعظم الكافية له. وألفية ابن معطي الجزائري والفييني العراقي في السير والأثر . وأحفظ الجوامع . الجوامع في الأصول . وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله التلمساني شاعر المغرب والأندلس. ورسائل بلغاء الأندلس. وكتاب احلام المنطق ليعقوب وغيرها».

هذه الكتب اللغوية ساعدته على تنمية قدراته العقلية واللغوية وتنمية ثروته اللغوية ، وعززت رصيده اللغوي - وجعلت منه فصيحاً بدون منازع . ولاشك أن احتكاكه بميدان التعليم والتربية رغم صغر سنه . عند السن 14 سنة والقيام بتدريس طلبة عمه بعد انتقاله إلى مثنواه الأخير ، حيث تحمل هذه المسؤولية الخطيرة تنشئة الاجيال - وهو لازال في مرحلة المراهقة يعبر بحق عن نبوغه المبكر وأن هذا الاتصال المباشر والممارسة الميدانية للعمل

التربوي التي زادت من خبرته التربوية والعلمية وهو في مقتبل العمر، وشحذت فعاليته العلمية والعملية واختيار امكانياته الفكرية وتوظيف تحصيله العلمي من أجل إشباع حاجات مريديه من الطلبة.

إن هذا التفاعل التربوي جعل منه مربيا ناجحا وخيرا بأمور التعليم والتربية وهذه العوامل كانت بمثابة مدعات لجهوده الاصلاحية والتربوية ونجد الرعاية والاهتمام بهذا المعلم شملت مختلف مراحل حياته من طرف عمه في مرحلة الطفولة والمراهقة، وأبيه في مرحلة الرشد. بالاضافة إلى الرحلات العلمية التي قام بها الإبراهيمي بعد هجرته إلى المدينة المنورة والالتحاق بأبيه الذي سبقه سنة 1908م .

ألتحق به بعد أربع سنوات . وقد ألتقي بعلماء الإسلام في القاهرة أثناء هذه الرحلة وأخذ عنهم ونهل من معارفهم الغزيرة وحضر الحلقات العلمية والفكرية التي يشرف عليها هؤلاء العلماء أمثال الشيخ سليم البشري. والشيخ محمد بخيت . والشيخ السالوطي . وعبد الغني محمود . ويوسف الدجوي . سعيد الموجي إنهم من أخير شيوخ الأزهر . أما في المدينة المنورة التي أستق فيها ولازم الحلقات العلمية التي كانت تتم في المساجد ، والمكتبات العامة والخاصة والتي كان يشبع منها دوافعه المعرفي وينمي قدراته العلمية . وقد أخذ في المدينة عن الشيخ العزي . الوزير التونسي والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي - اللذان نهل من ثقافتها الاسلامية الغزيرة والمتعمقة والتي عز بها أصول ثقافته الاسلامية الحديث والرواية والتفسي والتراجم والأدب العربي وعلم المنطق . إلا أن هذا لم يشبه دوافعه العلمية فاستزاد من إطلاعه المستمر والمنظم من مكتبات العلماء ومخطوطاتها النفيسة . تلك المكتبات المنتشرة في المدينة المنورة «مكتبة سلطان محمود - مكتبة آل الصافي - ومكتبات الجامعة، ثم انتقله إلى دمشق نتيجة قيام ثورة الشريف حسين بن علي واخلاء المدينة من سكانها وتدريسه بالجامع الأموي وذلك بإلقاء مجموعة من المحاضرات الارشادية والتوجيهية بمناسبة حلول شهر رمضان وكان ذلك سنة 1917.

وتدريسه بالمدارس النظامية الأدب العرب لطلبتها والاحتكاك بعلاء دمشق التي كانت منارة العلم والعلماء ومركز الإشعاع العلمي والحضاري منذ الحكم الأموي وقبله ، يتجلى من خلال هذا التحليل أن هذا المصلح قد ساهمت مجموعة من المكونات والمؤثرات في تشكيل شخصيته العظيمة ، كما لعبت دورا فعالا في بناء شخصيته العلمية ونبوغه العلمي .

أن البيئة الأسرية والتربوية والثقافية التي تفاعل في إطارها هذا المصلح التربوي هي التي شحذت فعاليته الروحية والفكرية والعلمية والتربوية وجعلته من عظماء الفكر الاسلامي الحديث، نظرا لما ينفرد به عن غيره من مفكري الاسلام من خصائص ومواقف تربوية جريئة . وتحركا التربوي الناجح الذي اعطى . نفسا وروحا للمشروع الاصلاحى الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وخصوصا عندما تولى أمر قيادة الجمعية بعد ابن باديس، باستكمال المشروع الاصلاحى الذي بدأه رائد النهضة الاصلاحية بالجزائر.

3. جهوده الإصلاحية والتربوية :

عند عودته من المدينة المنورة اتخذ من مدينة سطيف مستقرا له ومقلا لدعوتي الإصلاحية ونشاطه التعليمي والتربوي وذلك بتنظيم حمل التوعية الدينية وتبصير الناس بالحقيقة الاسلامية الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات والشعوذة ، أي محاربة الآفات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن التخلف الفكرى والثقافى وانتشار الأمية بين فئات الشعب نتيجة سياسة التجهيل المتبعة من طرف المستعمر الفرنسى، وذلك بعقد لقاءات علمي وحلقات دراسية ومحاضرات تربوية من أجل التوعية الدينية. وتتم هذه العمليات التربوية في المؤسسات الثقافية والتربوية التي كانت تقام في مختلف الأقاليم وتمول بإرادات شعبنا وفي الأماكن العامة كالأسواق الأسبوعية والبيوت الخاصة التي ترحب بالإبراهيمي من أجل الاستفادة من علمه الغزير . والعمل على نشر الثقافة العربية الاسلامية وذلك بتعليم الصغار وتنشئتهم على القيم الاسلامية بفضل اقامة المؤسسات التربوية التعميم التعليم العربى وتوسيعه . لمحاربة ظاهرة الأمية واستئصالها من الجذور وذلك بتلقين التلاميذ المبادئ الأولى في أصول الاسلام ومبادئه الأساسية للغة العربية وذلك بوضع خطة محكمة لإعداد برنامج لتعليم الصغار بعد اقامة المساجد والكتاتيب ومدارس التعليم القرآن وتعليم مبادئه، والعلوم العربية هؤلاء النسبي: كالقراءة والكتابة والقواعد.. وغيرها، وتعتبر هذه الجهود التربوية التي قام بها بداية

ممارسته الميدانية للمشروع الاصلاحى المتفق عليه ، والتي كللت بالنجاح وغيرت معالم الواقع الأليم الذي كان الشعب يعيشه بكل معاناته . ان هذه التجربة الفريدة كانت بداية اقلاعه التربوي والاصلاحى الذي مزج بين الاطار النظري والتطبيقي في عمله الميداني والتعليمي الذي كان بمثابة أرضية صلبة لكل مجهوداته الاصلاحية .

وبعد هذا النشاط الحيوي عين من طرف جمعية العلماء المسلمين مندوبا على المنطقة الغربية من الوطن لتمثيل الجمعية في المنطقة والتي شاع فيها الجمود الفكرى والتخلف الثقافى نتيجة انتشار الطرقية فيها والتي تتحكم في زمام الأمور وتقوم بتخدير الشعب وتنويمه وابعاده عن الحقيقة الجوهرية ، وذلك من أجل استغلاله ونهيه باسم الدين والدعوات المزيفة وهذا بتشجيع من المستثمر الفرنسى لتحقيق مشروعه الاستثمارى- المسخ والتشويه ومحو معالم شخصيتنا الحضارية التي يجسدها الاسلام الصحيح . والعربية اللسان المعبر عن أصالتنا الثقافية ، وانتهائنا الحضارى .

ولقد بدأت المواجهة الحضارية - المواجهة الحقيقية بين المستثمر وأتباعه وبين المصلح التربوي الابراهيمى الذي كان يؤمن ايمان اليقين بأن النصر حليفه نظرا لتعبيره عن ارادة الشعب الذي يرفض كيانه الاجتماعى - العنصر الدخيل مها كان نوعه ومقصية أي رفضه للثقافة الاستثمارية ومعتقدات الطريقة التي أرادت جذب فئات الشعب وامتلاك عقولها باسم الدين وذلك باستغلال الجهل والأمية لكسب الرهان ... أخير لهذه المنطقة نظرا لجرأته ومواقفه من المستثمر وقدرته على كسب أبناء المنطقة ونظرا لخصائص شخصيته النادرة المتمثلة في الحجة الدامغة والبرهان القاطع والمجادلة المقنعة واللسان الفصيح والدعوة الهادئة وكان بمثابة السند الاكبر للجمعية وتوسيع نشاطاتها التعليمية والتربوية وتنفيذ مشاريعها في هذه المنطقة والتي تجسدها هذه الاعمال الجليلة :

- 1- اقامة المدارس التعليمية للتعليم العربى في هذه المنطق
- 2- انشاء المساجد والكتاتيب لتعليم القرآن الى اطفال الاقليم الغربى من الوطن .
- 3- تأسيس جمعيات ثقافية وتربوية لاهياء التراث الثقافى .
- 4- الحث عن طلب العلم واعتباره فريضة اسلامية على كل مسلم .

وكانت هذه المؤسسات المشيدة بمثابة مرآة تربوية وثقافية النشر دعوته الإصلاحية في المنطقة وكأداة فعالة للرد على التحدي الاستدماري، وقد أخذ من مدينة تلمسان الحصن المنيع لحركته التربوية والاستقرار فيها نظرا لتاريخ هذه المدينة العريقة التي كانت مركز الإشعاع العلمي والفكري منذ تأسيسها من طرف بنو عبد الوادي، وقد استقر فيها سنة 1932 وكانت معقلا لمعركته الثقافية وضد اتباع الاستدمار الداخلي - الطرقية التي كانت حجرة عثرة في طريقه من أجل تحقيق دعوته التربوية والتعليمية ولكنه وقف لها بالمرصاد واستمات في الدفاع عن مقوماتنا وثقافتنا الذاتية التي كانت بمثابة المناعة الذاتية لجسمنا الحضاري .

4. مفهوم الإصلاح التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي.

لقد حدد البشير الإبراهيمي مع رائد النهضة الإسلامية بالجزائر الامام عبد الحميد بن باديس معالم المشروع الاصلاحي من أجل تحقيق النهوض الاجتماعي للمجتمع الجزائري والبعث الحضاري للأمة الجزائرية وذلك بشحن مختلف فعاليتها - الفعالية الروحية والاجتماعية والفكرية والعلمية من أجل انقاذ المجتمع من الجمود الفكري والتخلف الثقافي. أما منطلقات الإصلاح عند الإبراهيمي فتدور على الشكل التالي: 1- الفرد. محور العملية الحضارية والتربوية. 2. تحديد الأسباب والمسببات التي أدت إلى الجمود الحضاري - دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية وخطورتها على الفرد والمجتمع - ظاهرة الأمية ، الاعتقادات الخاطئة - وإيجاد العلاج لها . 3- الدراسة الموضوعية والشاملة للآفات الاجتماعية المنتشرة في المجتمع الجزائري حينذاك . 4- توحيد البرامج والطرائق التربوية من أجل توحيد الاتجاهات - الاجتماعية والفكرية والسياسية لدى النشء الجزائري. 5- إيجاد التوافق بين الإطار النظري والتطبيقي في المنهج التربوي والتفاعل بين المتعلم والمعلم . 6- الثقافة العربية الإسلامية ، هي أسس المنهج الاصلاحي لناشئين. 7 - التكامل بين الأهداف والغايات وذلك بتحقيق الترابط التكاملي بينهما والتجانس بين أبعادهما.

5. مفهوم الإصلاح عند الإبراهيمي:

يرى أن الإصلاح المنشود يجب أن ينطلق من الفرد باعتباره خلية حية في البناء الاجتماعي لمجتمعه وبوصفه عضوا فعالا في عملية تفاعله الانساني ولهذا نجده يحدد لنا المنطلقات الاساسية التي يركز عليها العمل الاصلاحي مؤكدا ذلك بالحجة الدامغة معبرا عن رأيه بكل صراحة «أن أول واجب على المتقنين ، اصلاح انفسهم قبل كل شيء ، كل واحد في حد ذاته، اذ لا يصلح غيره من لم يصلح نفسه ، ثم اكال نقائصهم العلمية واستكمال مؤهلاتهم التنقيفية حتى يصلحوا لتنقيف غيرهم اذ ما كل متقف يكون أهلا لأن يتقف . واذا كان المتقفون قبل اليوم في حالة اهمال ، فحالتهم اذا هيأوا أنفسهم لتأدية الواجب تستلزم اهتماما آخر واستعدادا جديدا وثاني واجب هو إصلاح مجتمعهم كل طائفة مع كل طائفة بالتعارف أولا وبالتقارب في الأفكار ثانيا ومن طبيعة الاجتماع أنه يحذف الفضول واللغو. وبالتفاهم في ادراك الحياة وتصحيح وجوه النظر اليها ثالثا . وبالاتفاق على تصحيح المقياس الذي تقاس به درجة الثقافة وأبعاده) .

ومن هذا المنظور الثقافي والتربوي الشامل يرى أن العمل يجب أن ينبثق من ارادة تغير الأفراد لذواتهم التي تعتبر الركيزة الاساسية للتغيير الاجتماعي في المجتمع - أي أن يكون المنطلق هو تغيير رجال العلم والثقافة وذلك التغيير يستلزم تغيير الركائز التي يركز عليها المجتمع .

ونجد هذه الحقيقة التربوية يؤكددها في دراسته - واجب المتقنين نحو الأمة - مبرزا ذلك في قوله «والمتقفون في الأمم الحية هم خيارها وسادتها وقادتها وحراس عزها ومجدها، تقوم الأمة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير . ويقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير . وما زالت عامة الأمم من أول التاريخ تابعة لعلمائها وأهل الرأي والبصيرة، فهي تحتاج اليهم في أيام الأمن وفي أيام الخوف.

تحتاج اليهم في الأمن لينهجوا لها سبيل السعادة في الحياة . ويغذونها من علمهم وآرائهم بما يحملها على الاستقامة والاعتدال . وتحتاج اليهم في أيام الخوف ليحلوا لها المشكلات المعقدة ويخرجوها من المضائق محظوظة الشرف والمصلحة»⁽³⁾ ، انه الحضور الدائم الرجل العلم والثقافة لممارسة دورة القيادي من أجل قيادة مجتمعه في السراء والضراء .

ويرى الابراهيمى أن أساس التوازن الاجتماعي في المجتمع ونظامه القائم تقوم دعائمه على دور النخبة في قيادة المجتمع وتدير أموره وتوجيه أفراده نحو الغاية السامية ويبرز هذه الحقيقة الجوهرية الناصعة المعالم في هذه الفكرة والمتفقون هم حفظة التوازن في الأمم وهم الميزان لمعرفة كل انسان حد نفسه ، يراهم العامي المقصر ، فوقه فيتعاصر عن التسامي لما فوق منزلته . ويراهم الطاعي المتجبر عيونا حارسة فيتراجع عن العبث والاستبداد»⁽⁴⁾.

ومما سبق يتضح لنا المنظور الذي يريده الابراهيمى ان يتحرك في اطاره رجل الثقافة والعلم ، وان يكون في الطليعة من حيث الموقف وتجسيده في الواقع بالسلوك وان يدرك بدوره التربوي والاجتماعي وذلك من خلال تفاعله مع المجتمع والعمل من أجل بنائه وتغييره بفضل تنمية جوانب شخصيته واستيعاب المعارف التي تؤهله للقيادة الحضارية للمجتمع وان يكون على - بصيرة من أمره .

لقد وضع الابراهيمى برنامجا واسعا لإصلاح التعليم العربي في الجزائر والنهوض به ونجد ذلك في مقالاته التربوية المتسلسلة في عيون البصائر تحت عنوان التعليم العربي والحكومة - المقالات تجسد لنا فلسفته التربوية والإصلاحية التي تتميز بالنظرة العميقة والتحليل الموضوعي للقضايا التربوية التي تعيشها المنظومة التربوية حينذاك ، وخاصة ظاهرة الأمية ، وقد حللها تحليلًا علميًا يتسم بالدقة وحدد الأسس الصحيحة لعلاجها باعتبار أن التغيير الثقافي في المجتمع هو الأساس الحقيقي للنهضة الشاملة والمتكاملة اذا اعتبرنا أن الثقافة تضم العلم والتربية والتعلم وان العلم والتعلم هما الدعامتان الأساسيتان للبعث الحضاري في المجتمع .

ثالثا: مفهوم الإصلاح التربوي عند الشيخ التبسي

إن الذكريات تزيد من فعالية الإنسان وتدعيم قدرته على التحدي من أجل بلوغ الهدف الأسمى، إن ذكرى وفاة أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الشيخ العربي التبسي الذي يمثل رمزا من رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر ونهضتها الإسلامية، واعترافا بالفضل لهؤلاء الرجال العظماء يجب علينا الإشادة بماضيهم وآثارهم وأعمالهم الجليلة التي خلدت مجد الأمة الجزائرية العظيمة ومن أجل ذلك أردنا إلقاء نظرة وجيزة على هذا المصلح الديني الذي كرس جل حياته في خدمة أبناء الجزائر وتنوير العقول ومحاربة الأمية والجهل

ودعوة المجتمع إلى القيم الإسلامية الأصيلة والتمسك بالكتاب والسنة القولية والفعلية للرسول الأعظم.

وقد اتخذ من المسجد والمدرسة والحلقة في الأندية وسيلة فعالة لتنشئة الشباب على القيم الإسلامية وترسيخها في الأذهان وتوجيههم نحو الغايات السامية للوطن.

وهذا ما جسده الشيخ العربي التبسي في الميدان الإصلاحي والتربوي عندما كان مدير مدرسة التبسة ثم إدارة معهد ابن باديس في قسنطينة حيث تمكن من تكوين نخبة كبيرة من الشباب الجزائري الواعي الذي حمل مشعل النهضة العربية والإسلامية في الجزائر بفضل رسالة التربية والتعليم بعد إعدادهم في المعهد، وقد وصفه البشير الإبراهيمي في أحد مقالاته قائلا: "والأستاذ التبسي عالم عريق النسبة في الإصلاح، بعيد الغور في التفكير، سديد النظر في الحكم على الأشياء، عزوف الهمة عن المظاهر والفساسف، انتهى به العلم والتجربة، وإحداث الزمان إلى تونس والجزائر والمغرب.

لاشك أن هذا الوصف الدقيق الذي صرح به الإبراهيمي يعتبر شهادة حية على نبوغ الشيخ العربي التبسي حيث قال الأستاذ مدير بارع ومرب كامل خرجته الزيتونة والأزهر في العلم والسنة النبوية في التدين الصحيح والأخلاق المتينة وإعانة ذكاؤه على فهم النفوس وأعانتته عفته ونزاهته على التزام الصدق والتصلب في الحق، وأن أغضب الجميع، ولتزمته وطنيته الصادقة بالذوبان في الأمة والانقطاع لخدمتها بأنفع الأعمال، وإعانة بيانه وبقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره، فجاءتنا هذه العوامل مجتمعة برجل منه يملأ جوامع الدين، ومجامع العلم، ومحافل الأدب ومجالس الجمعيات ونوادي السياسة، ومكاتب الإدارة ومعاهد التربية.

يمثل هذا الاعتراف صورة صادقة وواقية عن شخصية الإمام المصلح والمرشد الناجح الشيخ العربي التبسي، وحتى تكتمل الصورة أكثر، يجب أن نشير إلى العوامل التي ساهمت في تشكيل جوانب شخصيته المتكاملة، هناك مجموعة من العوامل التي لعبت دورا فعالا في تنمية أبعاد شخصيته يمكن تحديدها فيما يلي:

البيئة الأسرية والتربوية التي ترعرع فيها المصالح والمربي الشيخ العربي التبسي التي كانت تتميز بالعراقة والتمسك بالقيم الإسلامية وتنشئة الطفل على هذه القيم الأصيلة حيث منحت له

الأسرة العطف والحنان والرعية والاهتمام رغم إمكانياتها البسيطة باعتبارها أسرة متوسطة الحال وتلقى أول درس في القرآن على يد والده في قريته أسطح جنوب غربي تبسة، ولكن والده انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو لا يزال في السنة الثامنة من عمره، وقد أثرت فيه هذه الحادثة الأليمة التي تمثل فراق أعز مخلوق عنده ورغم ذلك أكمل حفظ القرآن الكريم في الزاوية الرحمانية في حقة سيدي ناجي جنوب شرق خنشلة وبعد ذلك اتخذ قرارا حاسما بالانتقال إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز في نفطه جنوب غرب تونس، وقد درس العلوم الشرعية والأدب العربي على يد شيوخ زاوية وبفضل الاطلاع المستمر على أمهات الكتب الفقهية والأدبية المتوفرة في مكتبة الزاوية.

1. الرحلات العلمية:

بعد أن بلغ من العمر ثمانية عشر ارتحل إلى جامع الزيتونة من أجل اكمال دراسته التحصيلية وكان ذلك سنة 1914م حتى سنة 1920م وبفضل نبوغه العلمي وذكائه وعزيمته وإرادته الصلبة تحصل على شهادة الأهلية للتحصيل ونظرا لتعطشه العلمي ورغبته الجامعة من أجل تلقي العلم والمعارف الإسلامية من مصدرها الأصلي هجر إلى جامع الأزهر بالقاهرة سنة 1921م.

وبعد الصبر والمواظبة الدراسية والمطالعة المستمرة في أمهات الكتب والفكر التربوي والأدبي والإسلامي وحضور الحلقات العلمية التي كانت تتم بجامع الأزهر وفي الأندلسية الثقافية ونهل العمل والمعرفة الغزيرة من ينبوعها الأصلي - شيوخ الأزهر وعلماء الأمة الإسلامية المقيمين في مصر أو زائرين لها من حيث آخر ونتيجة لبقائه في الأزهر مدة سبع سنوات ونبوغه العلمي تحصل على الشهادة العلمية - العالمية والتي تعتبر أعلى درجة علمية تمنح في تلك الفترة الزمنية.

رجع إلى الجزائر من أجل مواصلة المسيرة التي قطعها منذ كان طالبا للعلم وهي بعث النهضة الإسلامية في الجزائر وفي مسقط رأسه واتخذ من مسجد أبي سعيد في تبسة مقلا لنشر دعوته الإصلاحية والتربوية حيث عمل هناك على إرشاد الناس إلى الطريق القويم ومحاربة الآفات الاجتماعية والتخلف الثقافي ومظاهره المختلفة انطلاقا من القرآن والسنة النبوية.

2. دور المسجد في تنشئة الشباب وتوعية الكبار على القيم الإسلامية الصحيحة:

أدرك المصلح والمرشد الشيخ العربي التبلي أن سر نجاح أي دعوة إصلاحية يكمن في نوعية الوسائل التي يستخدمها المصلح في تبليغ رسالته الإصلاحية ودعوته الدينية وأول هذه الوسائل التربوية المسجد الذي يمثل مؤسسة إسلامية أصيلة وجوهرية تمكنت من تكوين وإعداد جيل الصحابة وقادة الأمة الإسلامي منذ عهد الرسول الأعظم، فقد المسجد مركز تدارس القرآن وفهم علومه وتشريعاته، وكان مركز سماع السنة النبوية والتوجيهات والمواعظ المحمدية، وكان منطلق الدعوة إلى الله والتذكير بالله والجهاد في سبيل الله على اختلاف أساليب الدعوة والجهاد، عدا أوقات الصلوات نجد المسجد مؤسسة تربوية وثقافية وظيفتها في النظام الاجتماعي والإسلامي تكوين الفكر وتوضيح منطلقاتها وآفاق عمله نظرا وممارسة، والربط بينه وبين الحياة الاجتماعية على مختلف أصعدتها ومجالاتها، والمسجد بهذا يشكل مع عنصر الوعظ والإرشاد مفهوما مستقبليا للنهضة منطلقا وغاية وبناء، ويقول رائد النهضة الإسلامية عبد الحميد ابن باديس في هذا الإطار مايلي: (المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فيما بني النبي صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى النبي المسجد ولما بني المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، كما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون صلاة وإسلام بدون تعليم.

انطلاقا من المنظور الإسلامي لدور المسجد التربوي والديني أدرك الشيخ العربي التبلي جوهر الإصلاح والإرشاد وأثر ذلك على تنشئة الشباب وتصحيح العقيدة الإسلامية لدى الكبار، فهذه وسيلة تربوية فعالة في النظام التربوي الإسلامي ولهذا لا بد من استغلالها من أجل تحقيق النهضة الإسلامية في المجتمع الجزائري، وكيف يمكن إصلاح الفرد دون تهذيبه وتعليمه وتنوير عقله وتصحيح اتجاهاته وأفكاره.

3. مفهوم الإصلاح التربوي عند الشيخ العربي التبسي:

التغيير الجذري للفرد أساس الإصلاح: ينطلق الشيخ العربي التبسي من مفهوم التغيير الجذري لكل اتجاهات الفرد السلبية وتعديلها باتجاهات إيجابية تتفق مع المنظور الإسلامي تطبيقا لما جاء به القرآن والسنة النبوية من حيث المعاملات والعلاقات والعبادات أي تجسيد مضمون الرسالة الإسلامية تربويا وسلوكيا وعمليا وانطلاقا من ذلك حدد مفهوم الإصلاح.

إن الفرد هو أساس الإصلاح باعتباره لبنة أساسية في البناء الاجتماعي والحضاري وهو النقطة الجوهرية في عملية النهضة الإسلامية في المجتمع الجزائري ولا يمكن تحقيق النهضة إلا بعد الاهتمام بالفرد وتنمية جوانب شخصيته وقدرته على التحدي الحضاري ولا يتحقق ذلك إلا بشد فاعليته الروحية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية لأن الفاعلية هي قدرة الفرد على إحداث التغيير الجوهري على مستواه الفردي والاجتماعي وبفضل ذلك يستطيع المساهمة في النهضة الحضارية التي يريد المجتمع تحقيقها، ويؤكد هذه الحقيقة قائلا: "عنيت الشريعة الإسلامية بإصلاح الفرد ذكرا كان أو أنثى صغيرا أو كبيرا، وأعدته ليكون خليفة ربه في ملكه، يوحد خالقه ويرحم نفسه ويرحم غيره وجد ف هذه الأرض ليكون منبثا للأسرة وللأمة وللحكومة، فتمت صلح الفرد وجمع بين أنواع الكمال العقلي والتربوي والاجتماعي صلح ما تفرع عنه من لأسرة والأمة والحكومة.

فالإصلاح عنده هو تنمية القدرات العقلية والإدراكية والمواهب والملكات والاتجاهات الأخلاقية والسلوكية المرغوبة وذلك بفضل عملية التنشئة الإسلامية التي تجسد التعليم والتربية وترسيخ القيم الإسلامية الفاضلة من أجل دمج الطفل في الإطار الاجتماعي والحضاري ويبرز ذلك من خلال هذه الفكرة التربوية ذات الأبعاد والأهداف والأساليب قائلا: "ولست هذه الشريعة في عنايتها بعقل الفرد وإدراكه ومواهبه وحواسه بأقل عناية منها بأخلاق الفرد وتربيته وغرس الصفات الحميدة، وإثبات الملكات الصالحة والأداب الفاضلة والسلوك النافع فيه، وكذلك الإسلام يوم بدأ توجهت تعليمه وتربيته وأخلاقه وعقائده إلى إيجاد فرد قوي مستعد لحمل الأمانة الإنسانية، مؤمن بأن الحياة ليست بالأكل والتوالد وإنما الحياة بالمثل العليا وبالحياة لتلك المثل، وينشر تلك المثل.

ونستخلص من هذه المقولة التربوية أن الهدف من التربية والعناية بالفرد والاهتمام به وتنمية أبعاد شخصيته وتدعيم تشكيل جوانب شخصيته هو القيام بالوظيفة الحضارية التي حددها له الإسلام - تعمير الكون واستغلال خيراته - وبفضل ذلك يصبح فردا قادرا على التغيير الاجتماعي والحضاري ويمتلك القدرة على النحدي وله الفعالية الحضارية التي تحدث تغيرات جوهرية في سلوك الفرد والمجتمع وبالتالي يؤدي وظيفته عمليا (فالشرعية الإسلامية دستور إلهي موضوع ليؤدي وظيفته، ولتترتب عليه ثاره ونتائج، لا تتوقف آثاره إلا على تطبيقه واستعماله تطبيقا يستوعب العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات، يطبقه الفرد في سلوكه الشخصي، يطبقه في صلاته بربه، يطبقه في علاقته بالمجتمع، وهذا التعميم في حدود استطاعة الفرد)، وبفضل ذلك يتمكن الفرد من تغيير نفسه ومجتمعه، ولكن لا يتحقق ذلك إلى بتنشئة الفرد على القيم الخلقية والاجتماعية والحضارية للمجتمع وذلك بتوجيه الفرد وإرشاده نحو الأهداف والغايات المرجوة.

4. مفهوم الإرشاد الديني عند الشيخ العربي التبسي:

إن الإرشاد الديني هو النصح والنفع حيث يوجه المرشد الناس إلى ما ينفعهم في الدين والدنيا نظرا لتنوع المنافع التي تتناول ما ينفع البدن في إقامة الحياة وطرق العيش، وما يقوم العقل وينروه وينميهِ ويزكيهِ، وفي زكاء العقل زرع للأخلاق الفاضلة وبث الأداب الطاهرة، فبالإرشاد الحق من المرشدين البصراء ذوي النيات الصادقة استقامت الحياة البدنية على أسس متينة قوية، وتقفت العقول بالتقافتين، الدينية التلقاة على الرسول والثقافة الدراسية المأخوذة عن أهلها من علماء الإنسانية.

فالإرشاد وسيلة تربوية فعالة يستخدمها المرشد لتوجيه الناس وتوعية الكبار وتنشئة الشباب على القيم الإسلامية وذلك بفضل الحلقات المسجدية التي تهدف إلى تبصير الشباب وشحن قدراتهم وتنمية اتجاهاتهم الدينية والأخلاقية وإشباع حاجاتهم العقائدية، وانطلاقا من ذلك نجد الشباب في أشد الحاجة إلى الإرشاد الديني باعتباره أداة التربية والتعليم والتثقيف والتهديب وتقويم السلوك وتصحيح المعلومات والمعارف وتنوير العقول وتلبية الرغبة الملحة في فهم العقيدة الإسلامية وأبعادها التربوية والأخلاقية والتهديبية ومضمون الرسالة المحمدية من المعاملات والعلاقات والعبادات ولا يحقق ذلك إلا إذا كان المرشد الإسلامي في المستوى

المطلوب وفق الشرط الجوهري التي تقتضيها طبيعة الدعوة الإصلاحية والإرشادية ويمكن إيجازها فيما يلي:

1. القدوة الحسنة يجب على المرشد أن يجسد عمله انطلاقاً من نفسه حيث يمثل السلوك الإسلامي في شخصيته عقيدة وأخلاقاً وأدباً واقتناعاً وسلوكاً ومن حيث المعاملات والعلاقات اليومية ليكون صورة حية لآخرين ونموذجاً ذا فاعلية حضارية يكون قدوة ومثالاً حياً وبذلك يضمن التأثير في نفسية الأفراد والجماعات.
 2. الاقتناع والاقناع أن تجسيد مضمون الرسالة الإسلامية في واقع الحياة يتطلب الاقتناع بتلك المبادئ والقيم والأخلاق حتى يتمكن المرشد من اقناع الآخرين ويؤثر في عقولهم.
 3. الترغيب والتشويق إن نجاح المرشد يرتبط بالوسيلة التي يستخدمها من أجل تبليغ ما يريد إيصاله إلى الآخرين وفعالية دعوته الإرشادية يحددها عنصر الترغيب وإثارة العواطف الدينية - وحتى تكتمل الرسالة التربوية للمرشد الديني لابد من توفر هذه المعايير الإسلامية في الدعاية - المرشد - الديني.
 4. الإطلاع الواقع على الثقافة الإسلامية من حيث الكم والكيف.
 5. فهم مقاصد القرآن والسنة النبوية من حيث الأبعاد التربوية.
 6. مراعاة الفروق الفردية بين مستويات الناس الصغار والكبار وبين المتعلم والأمي.
 7. تكييف الدعوة وفق المتغيرات الظرفية والحضارية والاجتماعية والثقافية من أجل مواجهة المتغيرات السلبية ومن أجل ترغيب الناس وإقناعهم.
- وبعد تحديد الشروط الكفيلة التي تضمن نجاح المرشد في الإرشاد الديني الذي يمثل تربية وتعليماً وتهذيباً وتقويماً لسلوك وتنشئة للطفل، فتجدر الإشارة إلى ما ينبغي أن يحققه الإرشاد بعد تطبيق الشروط والمعايير التي تحقق فاعليته التربوية.)
- أولاً: الإرشاد هداية لأفراد الأمة صغاراً وكباراً إلى العقيدة الإسلامية التي تمثل مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب ودعوتهم إلى العمل بالدين الإسلامي.
- ثانياً: القيام بالإرشاد من أجل تبليغ الدين الإسلامي انطلاقاً من أصول التشريع التي هي الكتاب والسنة النبوية والعمل بهما. وهدى السلف الصالح وأفكارهم التربوية.

ثالثا: المرشد كالطبيب يجب عليه أن يداوي النفس المريضة بالدواء المناسب للداء ليذهب المرض وتزول العلة ويعود البدن إلى صحته المعتادة "إن المرشدين أطباء الأرواح والأخلاق والآداب".

رابعا: تهذيب نفسه ومحاسبتها وعرض أعماله وأخلاقه وأدابه على أصول الدين وفروعه وسيرة أئمة الإسلام.

وفق هذه المواقف التي يجب أن يوم بها المرشد يستطيع القيام بوظيفته الإرشادية التي تعتبر طاقة فعالة لشحذ الهمم وتعديل السلوك والاتجاهات لأفراد المجتمع.

وقد أدرك الشيخ العربي التبسي أبعاد الإصلاح والإرشاد الذين يمثلان جوهر العملية التربوية والإصلاحية في النظام التربوي الإسلامي الذي يغير الأفراد وفق منطلقات الدين الإسلامي وحاجة النهضة الإسلامية إلى ذلك التغير الذي يمثل عمق البعث الحضاري للأمة الجزائرية، ومن أجل الخروج من التخلف الحضاري والثقافي الذي كان يعاني منه المجتمع الجزائري في تلك الفترة التاريخية الحاسمة نتيجة تواجد الاستعمار الفرنسي في أرضنا الطاهرة.

خامسا: الشيخ مبارك الملي المصلح التربوي والمؤرخ

يمثل فكر مبارك الملي فكرا أصيلا وإصلاحيا ويعد قطبا من أقطاب جمعية العلماء المسلمين ويسعنا في هذه الدراسة الفكرية أن نترك أحد رفاقه في الدرب الشيخ البشير الإبراهيمي يصف لنا عظمة هذا الرجل، إذ يرى الشيخ البشير الإبراهيمي أن العظمة عند مبارك الملي أنه أحد عظماء الجزائر بعد ابن باديس والبشير الإبراهيمي والعربي التبسي، إذ يرى الإبراهيمي في العوام مايلي:

يمت العظمت فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله، وتبقى معانيهم الحية في الأرض قوة يحرك، ورابطة تجمع، ونورا يهدي، وعطرا ينعش وهذا هو معنى العظمة، كون العظمة خلودا، إن العظمة تجسد أعمال المصلحين من أجل إحياء المجتمع وبعث الحياة فيه والنشاط والحيوية وبث روح الإصلاح الفلاح في شرايين جسمه الاجتماعي وتحقيق البعث الحضاري، وتجديد رؤيته الاجتماعية وفكره الإنساني.

وفي هذا الإطار يؤكد على أهمية الذكريات في حياة الشعوب والأمم قائلا "وهذه الذكريات التي يقيمها النسا لعظماهم والمذاكرات التي تصبونها لبقاء أسمائهم محفظة وأعمالهم

محفوظة وأعمالهم ملحوظة هي تجديد للعهد بهم والتمديد للاتصال الروحاني الذي يربط الفروع بالأصل، ويحث على التأسّي والاستمرار ودعوة متشددة إلى مبادئهم" (البشير الإبراهيمي، 1974، ص. 51).

وأن المراث الفكرية والتربوي الذي يخلفه العظماء يعتبر نبراسا يضيء طريق الاستمرارية التاريخية ويرى في هذا الصدد "فإن كل ما يكلف العظماة من مراث هو أعمال يحتدون بها من بعدهم، وأفكار يهتدون بها وآثارا مشهودة ينتفعون بها وأمجاد يعتزون بها ويفخرون، والاعتزاز والفخر من الأرضية الروحية الحافظة لبقاء الجماعات، وهذه مجموعة من الميراث العظماء هي التي تتسلل بها الحياة متشابهة الأطوار قرونا. ولولاها لأنفض حلقاتها، فكان لكل فرد قانون خاص وحياة خاصة". (البشير الإبراهيمي، 1974، ص. 52).

إذن، إن دراسة الشيخ المبارك الميلي وفكره التربوي هي تجسيد لعظمته وأعماله الجليلة وأثاره العظيمة في الأمة الجزائرية، ومواقفه الفكرية من الطرقية والبدع والشرك، وكتابات في صحيفة البصائر من خلال مقالاته عن الشرك ومظاهره، وفي الشهاب عن الإصلاح وتعليم المرأة الكتابة واصلو العقيدة الإسلامية، تلك المواقف العظيمة هي التي جعلت الإبراهيمي يعتبر بعبقريّة مبارك الميلي وفي إحياء ذكرياته العظيمة التي تعتبر وسيلة لشحذ الفعالية الفكرية والروحية والعلمية للأمة، إذ يرى البشير الإبراهيمي "ولكن هل أنصفنا أخينا مباركا وأنصفنا العلم معه. إذا كان حظه منا بعد موته ذكريات تقال في كل عام، لا ذكر يتردد في كل يوم وكلمات عنه تقال فتذهب مع الريح أو تكتب فتدفن مع الأوراق" (البشير الإبراهيمي، 1974، ص. 54).

وقد اعترف هذا المفكر العظيم الشيخ البشير الإبراهيمي بفضل مبارك الميلي على جمعية العلماء ومساهمته الفكرية والعلمية والتربوية قائلا "إن لأخينا مبارك الميلي على البصائر حقا، فقد تولى إدارتها فأحسن الإدارة إلا أن عطلتها الأخيرة، وأجال قلمه البليغ في ميادينها، فما قصر عن شاء، ولا كبا دون غاية، وهي كانت ميدانا لنشر كتابه الشرك ومظاهره فصولا وجمعه كتابا، ولكن ماذا عسى أن تقوم به البصائر في وفاء هذا الدين على عليها مبارك ..

إن مقالات تنشرها عنه في السنة وهي ما تستطيع لا تخلص ذمة ولا تفي بدين وإنما تملك البصائر التوجيه والإعداد وإن لأخينا مبارك الميلي عن الأمة الجزائرية حقوقا بما علم

وكتب، وبما نصح وأرشد وبما رد على الدين من عواد المبتدعين وبما وقف من واقف الإصلاح الديني والدينيوي" (البشير الإبراهيمي، 1974، ص. 55).

إلا أن عبقرية الشيخ مبارك لا تتوقف عند هذه الأعمال العظيمة التي لا يقوم بها إلا عظيم ولكن تتجاوز ذلك وهذا باعتراف أحد عظماء له الذي لا يعرف المجاملة والمداهنة بل يعرف قيمة الرجال والأعمال والمواقف، إنه الإبراهيمي الذي أقر بهذا الاعتراف بنفسه "كان آيات في الذكاء ودقة في الفهم والجلد على البحث والإطلاع" (البشير الإبراهيمي، 1974، ص. 56).

إن هذه الفقرات التي أوردناها من عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي تعطي لنا صورة صادقة عن شخصية مبارك الملي العظيمة في نظر رفاقه ولهذا يمكن القول أنه كان من عظماء الجزائر الذين رفعوا راية اللغة العربية ولوائها وأشهرها سيف الفكر ضد أعدائهم كما ساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية ومحاربة الطرقية ومن خلال هذه الأعمال الجليلة نتعرف على شخصيته العظيمة:

1. مولده ونشأته:

ينتسب المبارك الملي إلى مدينة ميلة التي ترعرع في أحضان طبيعتها البديعة وقد خرج إلى نور الحياة سنة 1893 بقرية أولاد المبارك التي تقع في ضواحي مدينة ميلة، وبعد أن تربى على يد أبيه محمد الملي الذي انتقلا إلى الرقيق الأعلى، وتركه طفلا صغيرا في السنة الرابعة فتولى رعايته جده الذي أدخله إلى مدرسة تعليم القرآن وتحفيظه لحفظ آيات من القرآن، وتعلم **مبادئ الأولية** في القراءة والكتابة الخط وبعدها التحق إلى معهد محمد الملي في مدينة ميلة بعد أن بلغ من العمر 15 سنة، أي في مرحلة المراهقة، حيث تلقى مختلف علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية والدينية التي هيئته للانتقال إلى معهد ابن باديس في قسنطينة ومكث سنة كاملة في هذا المعهد من أجل الحضور للحلقات العلمية والدينية والتربوية التي كان ينظمها رائد النهضة الإسلامية الإمام عبد الحميد ابن باديس، ونظرات لنبوغة وتفوقه العلمي والأخلاقي كان من ضمن أفراد البعثة التعليمية التي أرسلت إلى تونس لإتمام دراستها العليا والحصول على شهادة التحصيل، وبعد الإقامة التعليمية والتحصيلية بتونس عاد إلى الجزائر غانما للعلم والمعرفة والفكرة الصحيحة، وقد أثقن أساليب العلم

وكيفية الحصول عليه والاطلاع على أمهات الفكر الإسلامي والعمل به ونفع المجتمع به، وبعد عودته من تونس سنة 1922 اتخذ من مدينة قسنطينة التي كانت تعرف نهضة إسلامية وثقافية مستقرا له وأصبح من مساعدي الإمام عبد الحميد ابن باديس لعمله التربوي والإصلاحي ونتيجة الممارسة الميدانية للعملية التربوية في مؤسسات التعليم في هذه المدينة العريقة أعجب به ابن باديس فعينه ابتداء من سنة 1926 معلما في مدينة الأغواط.

إن هذه الوقفة الوجيزة عن حياة هذا الرجل العظيم تبين لنا مدى عظمة شخصية التي برهنت أن الرجال لا يقاسون بالأقوال والأموال وأنهم يقاصون بالأعمال الجليلة والعظيمة التي تحتاج إليها الأمة وهذه الأعمال الجليلة تحتاج إلى دراسة وفيه عن هذه الشخصية الوفية، وهذا ما نجزه حاليا من خلال المقالة والكتاب الذي نحن في آخر إنجاز.

مبارك الميلي المصلح التربوي:

لقد قضى مبارك الميلي 8 سنوات في مدينة الأغواط في التدريس والتربية والتعليم والتوجيه الديني والإرشاد الديني وذلك من خلال تأسيس مدارس لجمعية العلماء المسلمين في مدينة الأغواط والتحفيظ القرآن للناشئة ومحاربة الشكر ومظاهره وخاصة رجال الطريقة الذين وقفوا له بالمرصاد وحاولوا اغتياله، إلا أنه استطاع أن يتصدى بفضل إيمانه الراسخ ومواقفه الجريئة تجاوز المحن ولكن الإدارة الاستعمارية الفرنسية أرغمته على مغادرة مدينة الأغواط، وعندما خرج منها توجه إلى مسقط رأسه ميلة وانطلق في نشر أفكاره الإصلاحية والقيام بوابه الوطني والتربوي والإصلاحي وذلك من خلال إقامة المدارس والكتاتيب لتحفيظ القرآن لأبناء المنطقة ونظرا لدوره الطلائعي، انتخب سنة 1931 عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين، كما عين أمينا ماليا للجمعية وهذا يعبر على ثقة أعضاء الجمعية في الرجل مكانته عندهم وأخلاقه العالية.

اهتمامه بالشباب:

يتجسد اهتمامه بالشباب فيما يلي:

- إقامة الأندية الثقافية للشباب وتشجيعهم على الكتابة الصحفية وتوجيههم وتقديم لهم يد العون.
- العناية بتربيتهم وتعليمهم وتهذيب أخلاقهم وتوجيههم الصحيح وقد جسد ذلك عمليا من خلال فتح أقسام للتربية والتعليم للناشئين أثناء عودتهم من تونس، حيث فتح مدرسة في سيدي فتح الله وسيدي بومعزة في قسنطينة سنة 1924 للتعليم الشباب مبادئ الأساسية في اللغة العربية والحساب وحفظ القرآن، ويقول الأستاذ توفيق المدني رحمه الله في هذا الإطار "وكان الشيخ مبارك الملي أول من عرفت ي القطر الجزائري. للرجال العلم الصحيح والوطنية الحقّة ويرجع ذلك لليوم الثاني من يوليو 1925، حيث دعيت للسمر يضم نخبة من رجال العلم والأدب أحياء الشيخ مبارك الملي في المدرسة القرآنية الصغيرة التي كانت يومئذ يشرف عليها، وكانت النموذج الصالح للمدارس العربية الحرة، حينذاك" (توفيق المدني، 1974، ص. 33 م.ج.ث)
- كما أسس مدرسة الشبيبة في الأغواط أثناء إقامة التدريسية من أجل تعليم العربية وحقها والبراعة فيها حتى أصبح من تلامذتها معلمين وأساتذة يؤدون واجبهم اتجاه الوطن.
- أما الأندية في الغرض من إقامتها هو تنمية الصلاة بين العاملين والمعلمين والمتقنين وإنماء شخصيتهم واتساع مداركهم الفكرية وإبراز كيانهم الشخصي، وتوحيد بين اتجاهاتهم وأفكارهم وتشجيع مساهمتهم في إطار العضوية داخل النادي أو في جمعية أو لجان للشباب، وإبداء الرأي من خلال الجريدة والصحيفة والحوار والمناقشة ويؤكد توفيق المدني قائلاً: "كما أن الذين يكتبون في الجريدة يلقون العناية والتوجيه الرشيد من طرف مبارك الملي مما يجعلهم يؤمنون بأنفسهم في جوانبهم القوية فيزدادون إيمانا كما يتحاشون جوانب الضعف في الشخصية ويرى المصلح مبارك الملي "على الشباب العلماء أن يتقدموا إلى وميدان الكتابة وإن لم تتضح أفكار بشرط واحد أن لا يثوروا بتصرف الإدارة في ما رأت التصرف فيه للتفتيح وبالتلخيص وبالإهمال فإن الثقة أساس التعاون والمدير قد يرى ما لا يتفطن منه الكاتب". (مبارك الملي، 1983، ص. 66).

كما نجده يوجه الشباب إلى خدمة مجتمعهم والعمل على ترفيته إحياء مجده التليد وفي هذا الصدد يوجه نظر الشباب "هناك ناحية ألفت إليها نظر شبابنا بما لها مكانة في خدمة المجتمع، وترقية الشعور وتوحيده ألا وهي ناحية الأدب إنشاء ودراسة".

تعليم المرأة الكتابة عند مبارك الميلي:

أما المرأة فقد أولاه اهتماما والعناية الخاصة نظرا لمكانتها في المجتمع ودورها التربوي الخطير في تربية الأطفال أو الناشئة وتنشئتهم على القيم الإسلامية والوطنية والقيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري، باعتبارها المدرسة الأولى في حياة الطفل نم حيث الرعاية والاهتمام به ومن حيث الأمومة والفطام النفسي ويؤكد ذلك في أحد مقالاته في جريدة الشهاب "إن المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية، فالتكن شريكته في التربية والتهذيب، ولا تظلم من حرمان حقها من ذلك وإن الأم إلى المدرسة الأولى التي يتلقى بها الأبناء معلوماتهم الأولية أي تصوير طبيعية لهم، فعلينا أن نصلح هذه المدرسة لتهيئ لنا الأبناء، ولا يتعاصى عليها أصلها جهنم". (مبارك الميلي، 1992، م، ج1)

ونجد من خلال ذلك أ، مبارك الميلي قد أعطى أهمية للتعليم وتعلم المرأة الجزائرية، قيمة عظيمة نظرا لانعكاس هذا التعليم على شخصية المرأة ونجده يحدد السبيل الأمثل (لإصلاح الشباب والمرأة والمجتمع انطلاقا من العقيدة الإسلامية التي تجسد العبادات والعلاقات والمعاملات مؤكدا ذلك من خلال إصلاح الأمة في دينها وتحقيق وحدتها إذا لم يتحقق ذلك فقد تتعرض الأمة للانحلال والتفكك والتلاشي وتصير هامة لعرشها منة حيث بينها وتشيدها ويتضح لنا مما سبق أن مبارك الميلي كان يبذل كل ما في وسعه من أجل أن تحيا الأمة الجزائرية وبعث مجدها التليد وتاريخها العريق والحفاظ على مقوماتها الثقافية والتاريخية والحضارية والدينية واللغوية.

مبارك الميلي، المؤرخ:

لقد اشتهر مبارك الميلي بكتابة التاريخ وخاصة عندما انتهى من كتابه القيم تاريخ الجزائر القديم الجزء الأول والثاني، أما الجزء الثالث فقد وافته المنية فتم إتمامه من طرف ابنه محمد الميلي الإبراهيمي فقد أمكله فيختص بالفترة العثمانية في الجزائر وطبع من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزأين الأول والثاني سنة 1996 أما الجزء فقد طبع سنة

1984 بلبنان من طرف مكتبة النهضة الجزائرية وسوف نقوم بإعطاء صورة تحليلية عن هذا الكاتب القيم الذي يعتبر أول مؤلف يكتب بالعربية في تاريخ الجزائر بأسلوب علمي وتحليل تاريخي مع العلم أ، تاريخنا تعرض للتحريف والتشويه والتزييف من طرف المدرسة الاستدمارية الفرنسية وهذا منذ دخول الاستدمار الفرنسي إلى أرضنا الطاهرة سنة 1830. وكتب الأستاذ عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة الإسلامية في الجزائر رسالة للشيخ مبارك الميلي عن هذا الكتاب التاريخي القيم حيث قال فيها: "إذا كان عظماء كل أمة هم المكونين لتاريخها فالواجب أن لا نهمل نظراتهم فيما هو من نتائج حياة أمثالهم، وكتابنا هذا من نتائج الأمتين العربية والبربرية فلا غرو إذ أثبتنا نظرة عظيم من عظماء جيلنا فيه مع تمسكنا مبدأنا في التقارير". (ابن باديس، 1974، ص. 88)

إن اعتراف ابن باديس بأن مبارك الميلي يعتبر من عظماء الجزائر لم يكن مجاملة وإنما كان تكريما لكل عظماء الجزائر الذي يحضون بالنفس والنفيس من أجل إحياء الأمة الجزائرية واعتراف بالأعمال العظيمة والجليلة التي تخدم الفرد والمجتمع كله لأن الكتابة التاريخية ليست بالأمر الهين بل تحتاج إلى الاطلاع والبحث والتري والتقصي والتقيب والتصحيح لأن المؤرخ عالم في فهم وكشف الحقائق التاريخية ودراسة أبعاد هذه الحقائق، وذلك من خلال المراجع الأساسية، وقدرة المؤرخ على استخدام هذه المصادر التاريخية الأساسية مع التعامل معها من حيث فهم الحادثة التاريخية وحقيقة أبعادها والكشف عن الحقيقة التاريخية من خلال النقد والتحليل والربط والموازنة والترجيح الأصوب من الحوادث وبذلك يستطيع المؤرخ أن يقف على حقيقة التاريخ، فالكتابة التاريخية هي جهد عملي وعلمي متواصل يركز على الاطلاع على المراجع الأساسية من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية المحرفة والمشوهة والمزيفة اعتمادا على وعي المؤرخ وتكوينه العلمي، وبهذه الكيفية استطاع الميلي أن يعالج تاريخ الجزائري وقد اعترف له ابن باديس بالفضل قائلا له: "فهو أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية بعدما كانت الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك، وقد نفخت في تلك الصورة من روح بإيمانه الديني والوطني مما سيبقيها حية على وجه الظهر، تحفظ اسمك تاجا لها في سماء العلا وتخطه بميمينها في كتاب الخالدين" (عبد الحميد ابن باديس، 1948، ص. 87).

إذا كان من الحياة نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا فكيف من أمة كاملة أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها. فليس والله كفاء كملك أن تشكر الأفراد ولكن كفاءة أن تشكر الأجيال. وإذا كان هذا في الجيل المعاصر قليلا فسيكون في الأجيال غابرة كثيرا. وتلك سنة الله في عظماء الأمم ونوابغها ولن لسنة الله تبديلا (ابن باديس، 1948، ص. 89).

إن السؤال المطروح ماهي الدوافع والمبررات التي دفعت مبارك الملي إلى كتابة هذا الكتاب القيم من خلال المقدمة نجد أن المؤرخ يؤكد هذه الحقيقة الناصعة (فإن التاريخ مرآة الغابر ومراقبة الحاضر، فهو دليل وجود الأمم وديوان عثرتها ومبعث شعورها وسبيل اتحادها وسلم رقيها) (مبارك الملي، 1974، ص4).

إن التاريخ هو الصورة الحية والصادقة عن مجد الأمة وبقائها وإن دراسة الناشئين لتاريخ الجزائر هو الإحاطة بهذا التاريخ واكتشاف التاريخي والحضاري، وعدم الذوبان والانصهار في بوطقة الحضارات الغالبة والمهيمنة، وإدراك الحقيقة التاريخية والعمل على تحقيق الاتحاد بينهم من أجل تشكيل قوة عظيمة لضرب محاولات المستعمر الفرنسي التي تهدف إلى تفريق وتشتيت كيان الأمة الجزائرية وتاريخها وبهذه الكيفية يستطيع الأبناء فهم أبعاد الصراع القائم بينهم وبين المستعمر.

والتاريخ هو السلاح الحاد الذي يفرض نفسه في الميدان وذلك بفضل تنمية الروح الوطنية الجزائرية عند الشباب وهذا بعد الاطلاع على تاريخ أسلافهم وأجدادهم الذي يجسد روح المقاومة والبطولة والفداء في سبيل الوطن والعقيدة. إلا أن الاستعمار الفرنسي حاول تحريق وتشويه تاريخ الجزائر ومنع تدريسه في المدارس الحرة وهذا من أجل تنشئة أجيال جوفاء لا تفقه من تاريخها شيئا وفي هذا الصدد يكشف لنا عن هذه الحقائق المرة (إن المتعلمين اليوم من أبناء الجزائر قاطعوا الصلة بينهم وبين ماضيهم، فجاهلوا ما فيه من عز وذل ونعيم وبؤس ومدنية وهمجية وسيادة وعبودية). (مبارك الملي، 1974، ص6).

تري المتعلم بالمدارس يعرف من التاريخ بعض الأمم الأجنبية وما يجيد أن يعلم مثله من تاريخ شعبه ولا يحسن منه تقديمه عليه فكيف بالاقتصاد عليه والاكتفاء به ويمكن إيجاز هذه المبررات حسب ما عددها مبارك الميلي نفسه من خلال شرحها لها في المقدمة:

1. عدم الاهتمام بالشباب بتاريخ الوطني والجهله به
2. تعرضهم عن تاريخهم الحضاري واحتقار أجدادهم واتهامهم بالهمجية والتخلف نظرا لعدم اطلاعهم عن المنجزات الحضارية والمساهمات التاريخية لأجدادهم تطبيقا لفكرة فاقد الشيء لا يعطيه
3. عدم الاطلاع على الكتب التاريخية من طرف الشباب واهتمامه بالتاريخ الاستدماري الذي تلقوه أثناء تعليمهم في المدارس الفرنسية.
4. عدم إدخال برامج التاريخية في المناهج التربوية بشكل صحيح
5. القيمة التربوية والتنشئة لمادة التاريخ وأثر ذلك على تنشئة الشباب وتهذيبهم واطلاعهم على التاريخ الوطني الصحيح وتنمية الروح الوطنية الاجتماعية وتنمية الروابط بين أبناء المجتمع وتدريبهم على التفكير التاريخي
6. اهتمام تلاميذ جمعية العلماء المسلمين بمادة التاريخ وخاصة مدارس الحرية لجمعية العلماء
7. انعدام الكتب التاريخية التي تتناول تطور التاريخي والحضاري للأمة الجزائرية بطريقة علمية ومنهجية بعيدة على النقل والسرود والحكاية وذلك بأسلوب علمي سلس يعتمد على التحليل والربط والمقارنة والنقد والتصحيح وهذا ما أكده المؤرخ مبارك الميلي على أن المصادر الأساسية للتاريخ الجزائري قد تعرضت للتنشويه والتحريف من طرف المدرسة التاريخية الفرنسية ومدرسة الاستشراق خاصة التاريخ العربي والإسلامية والمرحلة البربرية أو الأمازيغية نظرا لتعصبهم الجنسي والعقائدي والحضاري وذلك من خلال
8. استخدام المراجع التي تحرف الحقيقة، إن هذه المبررات قد ركز عليها المؤرخ من خلال مقدمته ومن خلال المفاهيم التي استخدمت في الكتاب والتي اعتمد على الترجمة غير السليمة من مراجع الفرنسية مما يجعل هذه الترجمة تتعرض للنقد والتحليل مثال على ذلك الغزو العربي لشمال إفريقيا أو الغزوات الإسلامية فهذه كلها مفاهيم غير صحيحة

أوردها المستشرقين والكتاب الفرنسيين مما يجعل التنبيه إليها والتفطن أثناء دراستها وابتعادا عن المصادر الصحيحة والجهل بالمصادر الأساسية أو تجاهلها وهذا من أجل إعطاء صورة غير حقيقة عن تاريخنا وغير صحيحة وهذه الاعتبارات والمبررات هي التي دافعت مبارك الميلي لكتابة كتابه القيم ويسعدنا أن نحلل بإيجاز محتوى هذا الكتاب وإعطاء صورة حقيقة وصادقة عنه حتى يطلع عليه الشباب ويستفيدون به، مع الملاحظة أن الكتاب قد تضمن عدة مفاهيم تاريخية غير واضحة يلتبسها اللبس والغموض ويمكن صياغتها حسب اعتقادنا.

إن عدم وضوح هذه المفاهيم يعود إلى ترجمة المفاهيم حسب ما أشرنا إليه سابقا إن الترجمة الحرفية من بعض المصادر الغربية ونقل هذه المفاهيم من المترجم دون صياغتها بشكل صحيح والتأكد منها وسوف نورد عدة أمثلة في آخر الدراسة لإثارة انتباه القراء وخاصة مبارك الميلي كان يجهل اللغة الفرنسية ويعتمد على بعض أصدقائه في ذلك وذلك بالترجمة النصوص التي يوظفها في الكتابة ولم يقدر مدى صحة تلك الترجمة ورغم ذلك وقع في بعض الأخطاء أثناء الكتابة لهذه المفاهيم التي أصبحت الآن محل جدال علمي عند المؤرخين والشباب وحتى الكبار منهم وسوف نناقشها مناقشة علمية وتاريخية انطلاقا من اختصاصنا العلمي والدراية مع العلم أنني قد تحصلن على إجازة في التاريخ من معهد تكوين الأساتذة مما يسمح لي بالمقام لمعالجة هذا الموضوع ونحن على دراية كافية بذلك وسوف نوجز الصورة الصادقة والدقيقة عن مبارك الميلي المؤرخ وذلك بعودتنا إلى كتابه القيم الذي يحتوي على أربعة كتب فأنجزت منها ثلاثة فقط أثناء عمله المستمر بينما أنجز الرابع من طرف ابنه بعد وفاته وقد كتب منه 20 صفحة ولكن ابنه البار قد أكمل عمله أي الجزء الرابع اعترافا بفضل أبيه وسوف نحلل مضمون هذا الجزء مكابلي وذلك من خلال استخدام مفاهيم من طرف صاحب المقال وهذا يتطلب الوقت والجهد والمراجع المستخدمة في الكتابة تأليفه وماذا صحته علميا وتاريخيا مع تحديد منهجية المؤرخ في الكتاب، هذه التساؤلات العلمية والتاريخية تحتاج إلى دراسة جادة ووافية ودقيقة لا يمكن الإلمام بها في هذه المقالة ولكن سوف نشير إلى إشارات عابرة عن هذا الكتاب نظرا للانعدام المصادر التي استخدمها المؤرخ وإعطاء صورة انطباعية وعلمية حول الكتاب والمضمون بإيجاز.

أما الكتاب فقد تضمن مقدمة التي أبرز فيها المؤرخ ما التاريخي وأهميتها في حياة الأمم والشعوب كما بين أثر التاريخ في تكوين الفرد وتنشئته مواطننا صالحا كما بين المؤرخ أن هناك مجموعة من المعطيات العلمية والموضوعية التي تتحكم في المؤرخ وتوجه اتجاهه التاريخي وأعطى لنا أمثلة عن المؤرخين الغربيين وخاصة الفرنسيين منها مثل التعصب الجنسي والعنصرية وحب التفوق واستعباد الغير ويجب على المؤرخ أن يدرك ما يدور من الصراعات الأيديولوجية الاستعمارية وأن يفهم أبعادها.

كما أشار إلى المبادئ التاريخية يجب أن يعتمد عليها المؤرخ ويستخدمها أثناء كتابته للمادة التاريخية منها لأبعد الزماني والمكاني والاجتماعي والربط بين تلك الأبعاد كالربط بين التاريخ الإسلامي والميلادي بمعنى أن يؤرخ بالتاريخ الميلادي والهجري أثناء الكتابة وقد قسم المؤرخ كتابه إلى أربعة أجزاء كل كتاب يتناول مرحلة تاريخية معينة.

الكتاب الأول. يتناول تاريخ الجزائر قبل الوجود العربي في الجزائر ويتضمن 7 أبواب مقدمة الكتاب تتضمن النظرة العامة تشمل المعطيات الجغرافية والمناخية والاقتصادية من حيث الموارد الطبيعية والثروات والنشاط الزراعي في الجزائر قديما وحديثا وما تصرخ به البلاد من البترول والمعادن، أما الباب الأول فقد اقتصر على ذلك قدماء الجزائر ما قبل التاريخ أي فترة العصر الحجري وآثاره المنقوشة في منطقة الهقار وبقايا من آثاره في بعض مناطق الجزائر حسب الاكتشافات الأثرية أما الباب الثاني فقد حدده بالأسول الغربية لسكان الجزائر ذكر البربر وأصولهم اعتمادا على نظريات التاريخية مناقضة ومتضاربة أحيانا وذلك انطلاقا من المصادر التاريخية للمدرسة الاستعمارية والاستنتاج التاريخي انطلاقا من تلك النظريات والآراء وقد نجد في هذا البحث تشويها وتحريفا لتاريخنا يجب إعادة تصحيحه من طرف المختصين أو عندما تسمح لنا الفرصة لتحليل هذا الكتاب تحليلًا علميًا.

أما الباب الثالث فيتناول الوجود الفينيقي بالمغرب العربي وأسبابه وأصل الفينيقيين ونزوحهم نحو المغرب العربي وهناك أخطاء كثيرة قد تضمنها هذا الباب اعتمادا على المصادر الفرنسية.

أما الباب الرابع فقد اهتم بدراسة ممالك البربر وملوكها في عهد قرطجنة روما والصراع القائم بينهما من أجل النفوذ في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ومن الحفاظ على الامتيازات التجارية البحرية وهو المنطق الذي تتبعه إلى يومنا هذا دول الأوروبية في حوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من أجل الحفاظ على الامتيازات التجارية والبحرية لمملكة قارطجنة.

أما الباب الخامس فيتناول الوجود الروماني في المغرب العربي وموقف السكان البربر من ذلك وأحوالهم. أما الباب السادس فيدرس فترة الاستعمار الونداري ووصولهم وأغراضهم من احتلال المغرب العربي . أما الكتاب السابع فيتناول الدولة الرومانية ومواقفها من المغرب العربي واستثمارها لهذه المنطقة الإستراتيجية. أما الكتاب الثاني يتناول العصر العربي والإسلامي بعد الفتح الإسلامي والذي استخدم فيه مصطلح الغزو العربي والإسلامي لهذه الديار مع العلم أنه هو فتح وليس غزو ونشر رسالة الإسلام بين سكانها طوعية وينقسم إلى أبواب:

الباب الأول: يتناول الفتح العربي لإفريقيا أما المؤرخ فقد استعمل مصطلح الغزة العربي لإفريقيا وتأسيس إمارتهم. الباب الثاني: تناول الدولة الرستمية وهناك عدة أخطاء حول أصل الرستميين وعقيدتهم الدينية. أما الباب الثالث: فتناول الدولة الإدريسية وفيها عدة أخطاء كذلك. أما الباب الرابع فتناول دولة الأغالبة . أما الباب الخامس فتناول الدولة العبدية . أما الباب السادس فتناول نزوح الهلاليين إلى المغرب العربي أو هجرة الهلاليين إلى المغرب العربي.

وقد اعتمد في كثير من كتاباته على الأساطير وعلى تشويه الحقيقة التاريخية اعتمادا على المصادر الفرنسية

الكتاب الثالث: تناول فيه العصر البربري ويحتوي على ثمانية أبواب. الباب الأول: يدرس القبائل البربرية الجزائرية. الباب الثاني: يتناول الدولة الحمادية . الباب الثالث والرابع: يتناول الدولة المرابطية. الباب الخامس والسادس: يتناول أخبار الدولة الحفصية والمرينية والزيرية

الباب السادس يتناول الدولة الحفصية. الباب السابع يتناول الدولة المرينية. الباب الثامن يتناول الدولة الزيانية

أما الكتاب الرابع فقد كتب منه 20 صفحة ولكن انتقل إلى الرفيق الأعلى ولكن أكمل محمد الإبراهيمي الميلي ويتعرف بالفترة العثمانية ونشره سنة 1974 بعد طبعه في لبنان من طرف مكتبة النهضة الجزائرية ويتناول الفترة العثمانية في الجزائر مع العلم أن هذه الفترة يكتنفها الغموض والتشويه من طرف الاستعمار الفرنسي وقلى المصادر الأساسية فيها نظرا لحرقها من طرف جنود الاستعمار الفرنسي أو الاستيلاء عليها أو نقلها إلى المكتبة الفرنسية بباريس، وقد تناول ابنه هذه الفترة انطلاقا من معطيات تاريخية وحضارية والصراعات الاستعمارية في منطقة المغرب العربي منذ القديم والأساليب التي استخدمت من أجل الاستيلاء على الجزائر من طرف فرنسا والتنافس الغربي على العالم العربي وكيف حاولت الدولة العثمانية الإسلامية مواجهة ذلك وأسباب انهيار قوتها وتناول من خلال هذا الكتاب دولة الجزائر في العهد العثماني والنظام السياسي والإداري، والتنظيم الاقتصادي والحربي والأسطولي كما تطرق إلى المؤامرات التي كانت تحاك ضد الجزائر من طرف اليهود والجواسيس الأجانب وضعف جهاد سياسي على إدراك هذه الحقائق التي أدت إلى وقوع الجزائر فريسة الاستعمار الفرنسي. كما تناول التنظيمات الاجتماعية والسياسية وازدهار المدن وبهذه المنهجية نكون قد أوجزنا الكتاب.

المفاهيم المستخدمة في الكتاب

لقد استخدم المؤرخ مجموعة من المفاهيم دون دراية كافية للغة الفرنسية والوقائع التاريخية، بل استخدمها حرفيا حسب الترجمة من طرف أصدقائه وهذه المفاهيم قد أعطت للكتاب غموضا وتناقضا أحيانا نظرا لعدم دقتها إذا استخدم المؤرخ مثلا مفهوم الاستيلاء العربي والسؤال الذي يطرح هل العرب جاءوا للفتح ونشر الإسلام وتأمين حدود الدولة الإسلامية أم جاءوا للاستيلاء مع العمل هذا المصطلح من طرف المؤرخين الفرنسيين لتبرير التواجد الاستعماري الفرنسي للجزائر وقد اعتبروا الفتح الإسلامي والعربي لبلاد المغرب غزوا واستلاء كما نجد أن نفس المفهوم قد استخدمه المستشرق كارل بروكلمان والمؤرخين الغربيين من أجل تحريف التاريخ الإسلامي والعربي ولهذا ننبه الشباب إلى هذا المفهوم كما

نجد مؤرخون استخدموا مفهوما خطيرا يعود إلى الترجمة الحرفية لأصدقائه وعدم صياغته من جديد في قالب علمي يزيل الغموض والالتباس حيث استخدم في الكتاب الثاني الباب الأول مفهوم الغزو العرب إفريقيا وتأسيس إمارتهم هل العرب جاؤوا للفتح أم للغزو إن فكرة الغزو العربي فكرة استدمارية بغیضة تريد التأكيد المقولة المسيحية أن المسلمين غزاة ومعتدين وهذه الفكرة نشرتها المدرسة التنصيرية في الجزائر من أجل تزييف التاريخ الإسلامي والعربي في أذهان الناشئة وقد دعا لها المستشرقون وعلى رأسهم كارل بركلمان المفتري تاريخين العربي والإسلام في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية الذي اعتبر فيه جميع الفتوحات الإسلامية غزوا واعتداء ونجد نفس النظرة الغربية عند المؤرخين الفرنسيين الذين اعتبروا الفتح الإسلامي للمغرب غزوا واعتداء وهذا ما وقع فيه مؤرخون عن غير قصد بل عن جهل اللغة الفرنسية وعدم وعي أصدقائه بذلك أثناء الترجمة وهذه المفاهيم وغيرها في كتاب تحتاج إلى مراجعة دقيقة من طرف أهل الاختصاص الراغبين لتصحيح التاريخ ولهم قدرا كافي من الاطلاع على التاريخ القديم والحديث للجزائر وبذلك نتجاوز هذه المفاهيم الخاطئة في تاريخنا العظيم الذي يتمتع برجاله وبطولاته وأحداثه.

خاتمة:

وبهذه صورة نكون قد أعطينا وقفة فكرية عن هذا الرجل العظيم الذي يحتاج إلى دراسات جادة في مختلف ميادين التي تحرك فيها في التربية والتعليم والإصلاح والتوجيه والإرشاد والدعوة والموعظة والاهتمام بالشباب وإصلاح المرأة والمجتمع ومحاربة الشرك ومظاهره كل هذه الأعمال الجليلة والعظيمة تعني عظمة مبارك الميلي وعبقريته ووفائه بالعهد نستلهم منها العبر والعظات من خلال اهتمام به ومن أجل مواصلة مسيرة الدرب سائرون للمحافظة على كيان الأمة الجزائرية ومن أجل تحقيق النهضة العلمية والثقافية والتربوية والحضارية وترقية الإنسان الجزائري صانع التاريخ والمعجزات وهذا بعد تحقيق الوعي الحضاري لأبنائها وتسليحهم بالمعرفة التاريخية والتربوية العلمية والإيمان الراسخ من أجل مواصلة التحدي الحضري والفكري والصراع العالمي.

أننا نستلهم الدروس العبر والمواقف من هذه الدراسات ونجدد الفكر والعهد ونرد على مقولة أن الجزائر ليست امة بل الجزائر أمة وتاريخ وحضارة، وعلينا بوعي ذلك.

المراجع:

- 1) مالك ابن نبي، (1983)، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق
- 2) عبد الحميد بان باديس، (1982)، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ك1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.
- 3) عمار طالبي، (1983)، ابن باديس حياته وآثاره، الجزء 2، 3. 4، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- 4) نبيل سمالوطي، (1984)، تحديث التربوي، دار الشروق، جدة السعودية.
- 5) صوالحية صالح، (1987)، مفهوم الإصلاح عند ابن باديس، مجاهد الأسبوعي، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 1393، أفريل.
- 6) أمينة أحمد، (1985)، النظرية التربوية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار المعارف، مصر.
- 7) يوسف القرضاوي، (1983)، الحياة والإيمان، ط9، مصر.
- 8) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقى، الجزائر، دار الكتب، الجزائر.
- 9) صوالحية صالح، (1988)، مفهوم الإصلاح عند ابن باديس، مجلة الرسالة، وزارة الشؤون الدينية، عدد 1988.
- 10) محمد فاضل الجمالي، (1978)، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي الطبعة 2.
- 11) تركي رايح، (1974) الشيخ عبد الحميد ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم.
- 12) محمود أحمد نادية، (2011)، النظرية التربوية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار النهضة للنشر، مصر.
- 13) البشير الإبراهيمي: محاضرة أقيمت عند تعيينه عضوا بالمجتمع اللغوي القاهرة، مجلة الثقافة العدد 87 عدد - خاص - به سنة 1985.
- 14) البشير الإبراهيمي، محاضرة واجب المتقنين نحو الأمة، طبعت من طرف وزارة الشؤون الدينية بمناسبة انعقاد الملتقى الفكر الاسلامي التاسع عشر ببجاية .

- 15) البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، جزء 1، 2، 3، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
- 16) عمار طالبي، ابن باديس أثره وحياته، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، جزء 1 و 2، الجزائر.
- 17) سجل جمعية العلماء المسلمين، طبعة دار رحاب، باب عزون الجزائر، 1972.
- 18) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقى بالجزائر، طبع دار الكتب الجزائر، 1982.
- 19) مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر جمع وتعليق الدكتور أحمد الرفاعي، القسم الثاني، ط 1، دار الشهاب باتنة، 1984.
- 20) جريدة البصائر، مقال الشيخ البشير الإبراهيمي، العدد 60، 20 ديسمبر 1948، أسبوعية تصدرها جمعية العلماء، الجزائر
- 21) مبارك الميلي، (1948)، جريدة البصائر، أعداد متفرقة 1948 إلى 1949.
- 22) مبارك الميلي، (1948)، جريدة الشهاب، أعداد متفرقة 1948 إلى 1949.
- 23) مبارك الميلي، (1974) التاريخ القديم والحديث، الأجزاء 3، مؤسسة النشر والتوزيع، الجزائر.
- 24) مبارك الميلي، (1984)، آثاره وإنتاجه، عدد خاصة، مجلة الثقافة.
- محمد الإبراهيمي الميلي، (2012)، آثار مبارك الميلي، إعداد وتقديم محمد الميلي الإبراهيمي.